

علي أحمد باكثير
الفرعون الموعود

مطبوعات مكتبة مصر

الفِرعَوْنُ المَوْعُود

تأليف
على أحمَد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

الأسطورة

لكى نطلع القارئ على الأسطورة التى بنيت عليها هذه المسرحية ، ونتيح له مجال المقارنة والتأمل ، آثرنا أن نوردها هنا ملخصة عن الكتاب القيم (من أدب الفراعنة) للأستاذ محمد صابر .

***

« الشقيقان »

وجدت مكتوبة بالهيراطيقية على مدرج بردى باسم (مدام د. أوربنيه) وموجود بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٠١٨٣ وقد كتبها الكاتب « أنانى » بإشراف كاتب الخزانة المدعو « كاجابو » .

كان لأنبو منزل وكانت له زوجة ، وكان يعيش معه شقيقه الأصغر « باتا » كابن صغير يكفله ويرعاه . وكان باتا هو الذى يصحب قطيع الثيران إلى الحقل ، ويقوم بأشغال الحرث والبذر . وكان قوى الجسد له قوة إله . وكان يعود فى المساء حاملا على ظهره حملا ثقيلا من العلف ليطعم به الحيوانات . وكان يأتى كذلك باللبن والفواكه والخضر من الحقل ، فيضعها جميعا أمام شقيقه الأكبر الجالس مع زوجه ، فكانا يأكلان ويشربان فى المنزل ، ثم يذهب باتا إلى الحظيرة حيث ينام ، وعند الفجر ينهض فيخبز الخبز لشقيقه ويقدمه له ، فيعطيه أنبو شيئا من الخبز يأخذه باتا معه إلى الحقل ليأكله هناك .

وحل فصل الحرث حين برزت الأرض (انحسرت عنها مياه الفيضان) فخرج الشقيقان ومعهما الثيران ، فحرثا الأرض بجد ونشاط وظلا كذلك أياما . وحدث يوما أن نفد ما عندهما من البذور ، فقال أنبو لباتا : « أسرع نحو القرية وأحضر لنا من المنزل بذورا أكثر » فجرى باتا إلى القرية ودخل المنزل فوجد زوجة شقيقه جالسة تمشط شعرها ، فسألها أن تعطيه البذور فأمرته أن يذهب إلى الجرن ويأخذ بنفسه ما يريد من البذور ، فوجد باتا سلة كبيرة وملأها بالشعير والقمح وحملها وخرج بها ، فوقع نظر المرأة عليه وقالت له : « كم مكيالا حملت على منكبك ؟ » فأخبرها الفتى أنها خمسة مكاييل . فذكرت له إعجابها بقوته وميل قلبها إليه ، ثم وقفت وأمسكت به وطوقته بذراعيها تراوده عن نفسه واعدة إياه بأنها ستخيط له ملابس جميلة ، فغضب الفتى غضبا شديدا ، وأعرض عنها . فلما رأت المرأة منه ذلك الإعراض خشيت العاقبة ، واستولى عليها حزن عظيم ، وعاد باتا إلى الحقل بعد أن ذكرها بأنها كوالدة له ، وأن زوجها بمثابة الوالد له ، وحذرها أن تعود لمثل ما صنعت ، ووعدها أنه لن يخبر بذلك أى إنسان .

ولما عاد الشقيق الأكبر فى المساء ، ودخل المنزل وجد زوجته مطروحة على الأرض بحالة محزنة (كانت قد مزقت ملابسها لتلصق التهمة بباتا) ، فسألها ما خطبها فأخبرته بأن باتا راودها عن نفسها لما جاء لأخذ البذور ، ولما امتنعت عليه ، وخاف شرا من سوء فعلته ضربها ضربا مبرحا كيلا تبوح لزوجها بالخبر . وقالت : « فإذا سمحت

له بأن يعيش بعد الآن فإننى سأقتل نفسى ، وكأنى به إذا ما عاد مساء وقصصت عليك غرضه الفاحش فإنه لا محالة سيبرئ نفسه مما اتهم به» . فغضب أنبو وشحذ مديته وتربص لشقيقه خلف باب الحظيرة ليقتله عند عودته لإيواء قطيعه . ولكن باتا علم بذلك من بقرتين فى قطيعه كلمتاه وحذرتاه من بطش شقيقه الأكبر . فلما تأكد باتا صحة ذلك ألقى بحمله على الأرض وولى هاربا ، فطفق أنبو يطارده وفى يده المدية .

فتوسل باتا إلى الإله رع خوراختى قائلا : « يا إلهى يا من تظهر الحق من الباطل » ، فاستجاب له الإله وجعل بينه وبين شقيقه مجرى من الماء ملأه بالتماسيح ، فوقف كلاهما على شاطئ مواجها للآخر . واشتد غيظ أنبو حتى حز بالمدية على يده لأنه لم يتمكن من قتل شقيقه . فصاح به باتا أن يبقى حيث هو حتى يشرق « أتن » إله الشمس فيحتكموا إليه وقال له : إنه لن يعود للإقامة فى المنزل معه ، بل سيرحل إلى وادى شجرة السنط المزهرة (واد خيالى لعله لبنان) ، ولما أصبح اليوم الثانى ورأى كل منهما الآخر يفصل بينهما المجرى قال باتا لشقيقه :

« عندما أرسلتنى لإحضار الحبوب من المنزل قالت لى زوجك : دعنا نرقد وننام معا » ، ولكنها قصت عليك الخبر معكوسا ... وأسفاه ! تريد ذبحى غدرا لمجرد سماعك كلمة من عاهرة قذرة ! ، وأحضر محشة وجبّ نفسه (إثباتا لبراءته) وألقى بالعضو فى الماء فابتلعته سمكة ، ثم خر على الأرض مريضا . فرق له قلب أنبو وتمنى لو استطاع عبور المجرى إليه ليخفف عنه بعض ما به .

وحينما رأى باتا رقة شقيقه الأكبر له أعطاه تعليمات ورجاه أن ينفذها ، وهى أنه راحل إلى وادى شجرة السنط المزهرة ، وهناك سيسحر قلبه (روحه) ويضعه على زهرة شجرة السنط المرتفعة ، وأنه سيحتاج إلى معونته حين يحل به سوء ، وذلك عندما تقطع الشجرة على الأرض ، وعندئذ عليه أن يحضر للبحث عن قلبه ، حتى إذا وجده وضعه فى إناء من الماء البارد فستعود الحياة إليه سيرتها الأولى . ووصف له علامات ستظهر له عند حلول ساعة الضرر (وقت سقوط الشجرة) قائلا : « عندما يضع شخص ما إناء من الجعة فى يدك وتراه يرغى ويفيض على الجوانب ، ثم يعطى لك إناء من النبيذ وتراه وقد تحولت رائحته إلى رائحة كريهة ، حينئذ لا تتمهل واخرج حالا للبحث عنى » ثم مضى باتا لسبيله ورجع أنبو حزينا إلى منزله فقتل زوجته الخائنة وجلس حزينا على شقيقه الأصغر .

ووصل باتا إلى وادى شجرة السنط المزهرة ، وعاش به وحيدا . وكان يقضى يومه فى الصيد ويعود فى المساء ، فينام تحت شجرة السنط التى وضع على زهرتها المرتفعة قلبه (روحه) . ثم بنى له برجا حصنه وأثثه . وخرج ذات يوم ، فقابل جماعة الآلهة التسعة الذين كانوا يجوبون البلاد لتنفيذ رغباتهم على الأرض كلها ، وأخبروه بأن شقيقه أنبو قد قتل زوجته الخائنة ، ورقت قلوبهم له ورثوا لوحدته ، فصور له الإله خنوم (بأمر الإله رع حوراختى) زوجة لا تدانيها فى الجمال امرأة أخرى على وجه البسيطة ، وحضرت إلهات حتحور السبع فتنبأن لهذه

الزوجة بأنها ستموت ميتة شنيعة . وعشقها قلب باتا ، وكان يأتى لها بالصيد فيضعه تحت قدميها ، وحذرها من الخروج بعيدا خارج البرج لئلا تخطفها روح البحر فلا يستطيع هو إنقاذها منه ، لأنه (أى باتا) امرأة مثلها وقلبه موضوع على زهرة الشجرة . وأطلعها على مكنون أسراره .

وخرج باتا ذات يوم كعادته فى الصباح . فخرجت الفتاة فرأى البحر جمالها فتبعها بأمواجه فجرت هاربة منه نحو المسكن ، فصاحت روح البحر بشجرة السنط مستعينة بها على فريستها الجميلة ، فأخذت شجرة السنط بخصلة من شعرها ثم ألقتها فى الماء ، فحملتها الأمواج إلى أرض مصر ، ووضعتها بالمكان الذى كان به غسالو ملابس فرعون . وعلق شذاها بملابس فرعون ، فنشأ جدال بين أولئك الغسالين لعدم معرفة مصدر هذه الرائحة الزكية . إلى أن عثر رئيس الغسالين على خصلة الشعر وحملها إلى فرعون ، فاستدعى فرعون الكتبة والحكماء والسحرة فقالوا لجلالته إن خصلة الشعر لابنة مقدسة من بنات الإله رع حوارختى ، وأنها هبة لجلالته من أرض أجنبية ، وأشاروا عليه ببث الرسل فى كل البلاد لإحضارها فوافق فرعون على ذلك .

وعادت الرسل ما عدا الفريق الذى ذهب إلى وادى شجرة السنط ، فقد قتلهم باتا جميعا ما خلا واحدا منهم سمح له بالهروب كى يخبر فرعون بما حدث . ثم أرسل جلالته فريقا آخر من الجنود وسائقى العجلات الحربية ، وذهبت معهم امرأة حمّلها بالهدايا والحلى ، فحضرت

الفتاة معها إلى مصر ، وأحبها فرعون ومنحها لقب الأميرة الكبيرة ، وتحدث فرعون إلى تلك الأميرة فأفضت إليه بمكنون سرها وسر زوجها باتا وقالت له : « أتوسل إليك أن تقطع شجرة السنط لتقتله ، فأمر فرعون الجنود فذهبوا إلى الوادى ، وقطعوا الزهرة التى عليها قلب باتا ، فخر الفتى فى تلك اللحظة صريعا ضحية غدر هذه المرأة .

وفى اليوم الثانى لقطع شجرة السنط قام أنبو الشقيق الأكبر لباتا وخرج لقضاء أعماله . وحين عاد إلى المنزل رأى العلامات التى أخبره بها باتا من قبل . فسافر توا إلى وادى شجرة السنط ، فلما وصل إلى برج شقيقه الأصغر دخله فوجده ملقى على فراشه ميتا . فبكى بكاء مرا ، ثم خرج للبحث عن قلب شقيقه تحت شجرة السنط التى اعتاد باتا الرقاد تحتها ليلا . وقضى ثلاث سنوات فى البحث دون أن يجده حتى كاد ييأس وهم بالرجوع إلى وطنه ولكنه أعاد الكرة ، فوجد ثمار فاكهة أخذها معه إلى المنزل ، وكانت قلب شقيقه ، فوضع الثمرة (القلب) فى إناء من الماء البارد . وفى المساء امتص القلب الماء فاختلجت أعضاء باتا وفتح عينيه ، فأخذ أنبو الإناء وقدمه لباتا فشربه ، فلما رجع القلب مكانه عاد باتا بشرا سويا ، فتعانق الشقيقان ، وقص باتا على شقيقه ما حل به ، وقال له إنه سيتشكل فى هيئة ثور قوى جميل به كل العلامات المقدسة ، فعليه أن يركبه إلى مصر حتى يستطيع التحدث إلى زوجته ، ثم يقدمه أنبو هدية إلى فرعون ليكافئه بالذهب والفضة ثم يعود إلى قريته .

ولما عرض أنبو الثور (باتا) على فرعون فرح به وقدم القرابين ، وفرح به الناس جميعا ، وأمر لأنبو بمنحة من الذهب والفضة ، وذات يوم دخل الثور (باتا) إلى الحرم بالقصر الملكى ووقف بجانب زوجته السابقة ، فنطق قائلا لها إنه باتا ، وعاتبها على خيانتها وغدرها به . فارتجفت الفتاة وحل بقلبها الذعر . ولما خلت بفرعون أقسمت عليه أن يدعها تأكل كبد هذا الثور . فعز ذلك على فرعون ولكنه لم يستطع أن يرد طلبها ، فذبح الثور فى حفلة كبيرة ، وعند الذبح هز الثور (باتا) رقبته فسقطت نقطتان من الدم على أرض المدخل الملكى ، نبتت فى موضعهما فى المساء شجرتان جميلتان ، فأقام فرعون لهما فرحا عظيما .

وخرج فرعون ومعه الأميرة ليرى الشجرتين فجلس كل منهما تحت شجرة فأسرت الشجرة (باتا) التى جلست تحتها الأميرة قائلة : « أيتها المرأة الغادرة ، أنا باتا ما زلت حيا بالرغم من إساءتك ! » ولما خلت بفرعون فى يوم عيد وكان مسرورا منها أقسمت عليه بأن يأمر بقطع الشجرتين ليصنع من ألواحهما بعض الأثاث الجميل ، وذهب جلالته بصحبته الأميرة للإشراف على قطعهما . وحدث أثناء عملية الكسر أن طارت شظية من الخشب إلى فم الأميرة فابتلعتها فحملت فى نفس اللحظة .

ومرت الأيام ، ووضعت الأميرة طفلا ذكرا فرح به فرعون وأقام عيدا لمولده ، ولما نما وترعرع منحه لقب (أمير كوش) ثم جعله ولى العهد . ولما مات فرعون اعتلى باتا العرش ، وجمع الرؤساء والنبلاء

والمستشارين ، فأخبرهم بكل شيء جرى له ، وحضرت معهم الزوجة الملكية ، فحاسبها أمامهم جميعا وأصدر حكمه عليها ، ووافقه الجميع على حكمه (أى قتلها قتلا شنيعا) كما تنبأت به الإلاهات حتحور السبع عند خلقها بوادى شجرة السنط ، ولم تذكر القصة النطق بالعقاب حتى لا تترك أثرا محزنا في نفس القارئ ، ثم استدعى باتا شقيقه أنبو وولاه أميرا للتاج (وليا للعهد) ، وحكم باتا ثلاثين عاما ثم توفي وحل مكانه شقيقه الأكبر حتى يوم وفاته .

إلى هنا تنتهي القصة بسعادة ، وقد كتبها الكاتب أنانى تلميذ كاتب خزانة فرعون (كاجابو) ليجعله تحوتي (إله العلم والحكمة) رفيقا له .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ﴾ .

قرآن كريم

أشخاص المسرحية

***

باتا	:	بطل المسرحية .
سيرونا	:	زوجة باتا .
الشيخ	:	شخص مجهول .
أنبو	:	شقيق باتا .
نفرورا	:	زوجة أنبو .
فرعون	:	ملك مصر .
إيفا	:	وصيفة سيرونا فى بلاط فرعون .
عامور	:	كاهن عزله فرعون لأنه كان ينكر عليه تماديه فى الفسوق .
سيدو	:	الكاهن الذى ولاه فرعون بدلا من عامور .
البستانى	:	
القابلة	:	

جنود وحرس ووصائف إلخ ..

مكان الحادث : المنظران : الأول والثانى فى لبنان .

بقية المناظر : فى مدينة منف عاصمة مصر .

المنظر الأول

كوخ منفرد في سفح من سفوح جبال لبنان ، تكتنفه أشجار الأرز - يظهر (باتا) نائما على باب الكوخ متوسدا مخدة من الحشيش اليابس .

يقبل شيخ غريب الهيئة ، قد ابيض شعر رأسه ولحيته وعارضيه ، وله عينان واسعتان تفيضان بالرقة والحنان ، وتقبل خلفه فتاة رائعة الجمال في ملابس فطرية كأنها من عرائس الغابة ، وقد تهدل شعرها الفاحم المرسل على كتفيها حتى يصل إلى خصرها . يقف الشيخ على رأس باتا ، وتدنو الفتاة كذلك منه فتتأمل وجه الشاب ويتردد بصرها في أعضاء جسمه وتكاد من عطفها عليه وانجذابها إليه أن تنحني عليه فتحتضنه ، لولا أن الشيخ يشير إليها بيده أن لا تفعل ، ثم يجذبها بضع خطوات عن النائم .

***

الشيخ : كيف رأيته يا سيرونا ؟

سيرونا : جميل .

الشيخ : جميل جدا ؟

سيرونا : نعم .. جميل جدا .

الشيخ : أتحبينه كثيرا جدا ؟

سيرونا : نعم ، أحبه كثيرا جدا .

الشيخ : مثل ماذا تحبينه ؟

سيرونا : « **بعد تردد يسير** » مثل .. مثل طفلي (النونو) .

الشيخ : «**مبتسما**» أتودين أن يكون لك هذا (النونو) الكبير ؟

سيرونا : «**في جذل**» نعم يا أبت .. أعطني هذا النونو الكبير .. أعطني هذا النونو الجميل !

الشيخ : ماذا تصنعين به إن أنا أعطيته لك ؟

سيرونا : ألعب به ..

الشيخ : «**يبدو على وجهه شيء من التقطيب**» تلعبين به ؟.

سيرونا : نعم ألعب به .. أحمله على ذراعي . وأنيمه بجانبي وأضمه وأقبله .

الشيخ : هو كبير لا تقدرين على حمله .

سيرونا : لا يا أبت .. بل أقدر على حمله .. تريدني أحمله لك ؟

« **تمشي نحو باتا لتحمله ، فيجذبها الشيخ ويمنعها من ذلك** » .

الشيخ : « **يضحك** » لا يا سيرونا .. لا توقظيه من نومه .

ليس عليك أن تحمليه فى ذراعيك ، وحسبك أن تنيميه بجانبك ، وأن تطيعيه فى كل ما يأمرك به .

سيرونا : حسنا يا أبت ، سأنيمه بجانبى وأطيعه فى كل ما يأمرنى به .

باتا : « **يتحرك فى نومه ويشير بيده فى الهواء ، ويصيح كمن به كابوس** » ابتعدن عنى ! ما أريد أحدا منكن .. أنتن جميعا مثل نفرورا امرأة أخى !

« **يجذب الشيخ يد سيرونا وينطلق بها يمين الكوخ حتى يختفيا** » .

باتا : « **ينتبه من نومه مذعورا ، ويقعد وهو يمسح النوم من عينيه** » يا إلهى ، إنها رؤيا ! ما بال هؤلاء النساء الخائنات يجرين ورائى حتى فى الحلم ؟ ماذا يردن منى وقد هربت منهن إلى هذه الصومعة المنقطعة فى سفح الجبل ، وعلقت قلبى فى أعلى شجرة السنط ؟ رباه لشد ما أخاف من هذه الرؤى ! ليس لى هنا من يؤولها لى ويطمئننى . لقد كنت أرى الرؤيا فأقصها على أنبو أخى ، ولكن أين أخى الآن منى ؟ ليت شعرى كيف حالك يا أنبو ؟

« **يظهر الشيخ فجأة من يسار المنظر فيراع باتا لرؤيته** » .

الشيخ : لا تخف منى يا بنى ، فإنى صديق أحب لك الخير .

باتا : « **وقد هدأ خاطره قليلا** » من أنت ، وما الذى جاء بك إلى هذا الجبل ؟

الشيخ : أنا شيخ عابر سبيل ، وقد رأيتك وحيدا فى هذا المكان المنقطع ، فرقّ لحالك قلبى ، فهل أستطيع أن أعينك بشىء ؟

باتا : شكرا لك أيها الشيخ الطيب ، لست فى حاجة إلى معونة أحد .

الشيخ : لكنى سمعتك الآن تذكر الرؤى ، وتتمنى لو يوجد من يؤولها لك ويطمئنك ؛ أفلا تقص رؤياك علىّ كما كنت تقصها على أخيك فأطمئنك ؟

باتا : « **يتأمل وجه الشيخ** » ...

الشيخ : هل لى أن أجلس إلى جانبك يا بنى ؟

باتا : « **يسوى الحشيش له** » تفضل أيها الشيخ الطيب ، تفضل ...

الشيخ : « **يجلس** » شكرا لك يا بنى .
« **يتنهد** » إن التطواف قد أتعب قدمى ، وإن الأيام قد أوهنت جسمى ؛ ولكنها تمنحنا نحن الشيوخ من حكمتها ما تضن به عليكم معشر الشباب .

باتا : « **يتفرس فى وجهه** » .

الشيخ : هأنذا مصغ إليك ، فقص على رؤياك .

باتا : « بعد تردد » رأيت كأن نسوة يجرين خلفي ليمسكنني وأنا أهرب منهن ، فأمعن في الجرى فإذا هن أمامى يعدون نحوى ، فأستدبرهن وأعدو هاربا منهن ، ثم لا ألبث أن أجدهن أمامى ، وهكذا دواليك حتى ينقطع نفسى من البهر .

الشيخ : تلك الحياة يا بنى ، تهرب منها وهى بين جنبيك ، فلا أنت بمستمتع بها ، ولا أنت بناج منها .

باتا : إنك وعدتنى أن تطمئننى ، ولكنك لم تزدنى إلا قلقا .

الشيخ : ما هذا القلق الذى يساورك إلا صوت الطبيعة يناديك من أعماق قلبها ، أن قد شذذت عن النظام الذى بنى عليه هذا الكون العجيب .

باتا : ما هذا النظام الذى تذكره ؟

الشيخ : نظام الحب .. نظام الزوجين الذكر والأنثى السارى فى الوجود كله .

باتا : وما لى وللوجود ؟

الشيخ : أنت جزء منه ، لا تستطيع الخروج على نظامه إلا أن تكون إلها . يجب أن تتزوج يا بنى ، يجب أن تكون لك زوجة تؤنسك فى غربة الحياة .

باتا : أخشى أن تخوننى !

الشيخ : تخير لك زوجة وفية لا تخونك .

باتا : ليس فى النساء وفاء .

الشيخ : أنّى عرفت ذلك ؟

باتا : لقد شهدت بعينى زوجة خانت زوجها !

الشيخ : لعله خانها فخانته .

باتا : كلا ، بل كان وفيا لها أشد الوفاء .

الشيخ : لعلها كانت تعلم من أمره ما جهلت .

باتا : بل كنت أعلم عنه كل شىء .. هو شقيقى أنبو أقرب الناس إلىّ .

الشيخ : وهل علم هو بخيانتها ؟

باتا : لا .. لم يعلم .

الشيخ : فكيف علمت بخيانتها إذن ؟

باتا : إنها راودتنى عن نفسى . آه يا ليتنى مت قبل أن أشهد ذلك المنظر الفظيع !

الشيخ : وهل طاوعتها على الخيانة ؟

باتا : كلا ، معاذ الرب أن أخون شقيقى ، ولكنى هربت من منزل أخى الذى أحبه ، بل تركت مصر التى أحبها إلى حيث أعيش هنا وحيدا ، وقد آليت على نفسى أن لا أدع امرأة تخوننى .

الشيخ : مسكين أنت يا بنى ! لقد كشفت لك الحياة وأنت في سن الطراءة والطهارة جانبا من مساوئها فأسلمت السلاح ، وأغمضت عينيك فلا تستطيع أن ترى محاسنها . ولكن النساء لسن سواء يا بنى .

باتا : بل هن سواء فى الخيانة .

الشيخ : ليس لك أن تقول هذا فتسىء إلى امرأة ما أحسبها إلا عزيزة عليك .

باتا : ليس فى النساء عزيزة علىّ ، إنى أمقتهن وأحتقرهن جميعا .

الشيخ : وأمك يا بنى أتمقتها وتحتقرها ؟

باتا : أمى .. أمقتها وأحتقرها ؟ كلا ، بل أحبها وأقدسها !

الشيخ : أكانت خائنة ؟

باتا : خائنة ؟ كيف تسألنى هذا السؤال ، إنها كانت مثال الوفاء والخير والكمال .

الشيخ : أين هى الآن ؟

باتا : « يبكى » هى الآن فى عالم الخلود . لقد اختطفنى اللصوص منها وأنا غلام صغير ، فماتت حزنا علىّ ، ولم يجدنى أخى إلا بعد وفاتها . ولكن صدقنى أيها الشيخ الطيب .. صدقنى إنها كانت صالحة طيبة ..

كل الناس يعرفون عنها أنها ملاك طاهر .

الشيخ : اعترفت الآن أن النساء لسن سواء ، ففيهن الخائنة كامرأة أخيك ، وفيهن الوفية كوالدتك ؟

باتا : ....

الشيخ : فما يمنعك أن تتزوج امرأة وفية صالحة كأمك ؟

باتا : أين فى النساء مثلها ؟ يا ليتنى أجد زوجة صالحة مثل أمى .

الشيخ : قد وجدتها لك يا بنى . إن فى السفح الشرقى لهذا الجبل فتاة جميلة مات أبواها ، فظلت تعيش وحدها يتيمة طاهرة فى هذا الجبل ، بعيدة عن عيوب المدينة وآثامها ، فنمت طاهرة كالندى ، وبريئة ساذجة كالطفل ، وستكون لك زوجة وفية صالحة .

باتا : وما يضمن لى أنها تفى لى ولا تخوننى ؟

الشيخ : إنها ستفى لك لأنها تحبك .

باتا : تحبنى ؟

الشيخ : نعم تحبك كما تحب أعز شىء عليها — كما تحب طفلها النونو .. لعبتها المحبوبة .

باتا : وأين رأتنى حتى تحبنى ؟

الشيخ : هنا فى هذا الموضع حين كنت نائما آنفا .

باتا : « **يصمت هنيهة** » ولكنى أخشى من هذا الجنس

الخائن ولا أستطيع أن أطمئن إلى أحد منهن .

الشيخ : أما تزال تذكر الخيانة ؟ ألم أقل لك إنها ترعرعت فـى أحضان هذا الجبـل الطـاهر ، ونشـأت فـى هـذا الجـو النقى ، ودرجت بين هذه الجداول الصافية ، والمـروج التى لا تعرف الدنس ؟

باتا : دعها فى طهارتهـا ونقائهـا .. لا تزوجهـا فتمهـد لهـا السبيل لتخون .

الشيخ : إنما أمهد لها السبيل لتؤنسـك وتؤنسـها ، وتؤلفـا معـا لحنا شجيا فى موسيقا الوجود الخالدة .

باتا : قلـك لـك إننـى آليـت علـى نفسـى أن لا أدع امـرأة تخوننى .

الشيخ : قلت لك لن تخونك .. إنها تحبك كما تحب أعز شىء عليها ، وإنها يتيمة وحيدة ليس لها من يرعاها بعدى ، وقد ترانى كبرت فى السن ولم يبق لى فـى الحيـاة إلا أيام .

باتا : ما هى بابنتك ، فمن تكون لك ؟

الشيخ : ابنة صديق صالح عزيز كان علىّ .

باتا : إذن فأنت تنظر لها ولا تنظر لى .

الشيخ : لا يا بنى ، إنى أرثى لوحدتك كما أرثـى لوحدتهـا ، ولعل الرب ما ساقك إلى هـذه البقـاع إلا لتكـون لهـا

وتكون لك .

باتا : إنى لم آت هذه البقاع إلا لأهرب من مثل مـا تعرض علىّ .

الشيخ : قد يفر المرء من القدر ، والقدر ينتظره حيث فر .

باتا : سأفر من القدر ما وسعنى الفرار .

الشيخ : قد يهرب المرء من قدر خير ليقع فى قدر شر .

باتا : إنما فررت من الخيانة وهى شر .

الشيخ : تفر مـن شـر موهـوم عسى أن لا يتحقـق ، لتحـرم نفسك نعمة لا تعدلها نعمة .

باتا : أى نعمة تعنى ؟

الشيخ : نعمة الخلود .

باتا : تلك نعمة أرجو ألا أحرم منها ، لعلى أعـود إلى مصر حين أشيخ ، فأوصى أقاربى بأن يحنطوا جثتى إذا مت ويضعوها فى قبر حصين .

الشيخ : قد تفسد الجثة فتبلى رغم التحنيط ، وقد تسرق رغـم القبر الحصين .

باتا : وهل من سبيل إلى الخلود غير ما ذكرت ؟

الشيخ : نعم سبيل الحب ، الحب يا بنى كفيل لك بهذه النعمة الكبرى ، إنك إن أحببت حبا صادقا ، فـزت بـالخلود واستحال عليك الفناء ، ولو فصل رأسك مـن جسـدك ،

وقطعت أوصالك تقطيعا ، إذ تتصل حينئذ بسر الوجود وتندمج فى النظام الذى يقوم عليه .

باتا : ولكنى قد نزعت قلبى من بين جنبى فلم يعد لى قلب يحب .

الشيخ : تستطيع أن ترده إلى مكانه فأين وضعته ؟

باتا : لقد أضعت قلبى !

الشيخ : « **يبتسم** » إنما يضيع القلب حين يكون فى يد الحبيب ليحتفظ به للمحب ! فيم تكذبنى ؟ لماذا لا تقول الحق ؟ لعلك حفظت قلبك .

باتا : يخيل إلىّ أنك تعلم سرى . أجل قد حفظت قلبى فى موضع حريز .

الشيخ : ما يدريك أن لا يكون سرق منك وأنت غافل عنه ؟

باتا : ماذا تقول ؟ إن أحدا لا يعرف أين مقره .

الشيخ : إن الحب لا يعجزه أن يهتدى إليه ولو كان مدفونا فى بطن الثرى ، أو معلقا فى أعلى شجرة من أشجار السنط !

باتا : « **ينظر إلى الشيخ مرتابا** » أئنك لأنت الذى ...

الشيخ : لا يا بنى ، إن مثلى لا يستطيع أن يسرق مثل قلبك .

باتا : فمن إذن ؟ ويل للسارق !

الشيخ : لا تقل هذا فهو لم يسرقه ، وإنما التقطه ليرده إليك

ويحفظه لك .

باتا : « **يصيح** » كلا لا أريد أن يمسه أحد . لا أريد أن يحفظه لى أحد .

الشيخ : إنه قد أخذ منك سواء أردت أو لم ترد .

باتا : « **ينهض من مجلسه** » لأبحثن عنه ولأستردنه !

الشيخ : لا حق لك فى استرداد ما لا تملكه .

باتا : كيف لا أملكه وهو قلبى ؟

الشيخ : نعم هو قلبك ، ولكنه ملك غيرك .

باتا : ملك من غيرى ؟

الشيخ : ملك من استطاع أن يستلبه منك يا باتا .

باتا : « **مشدوها زائغ الطرف** » تدعونى باسمى .. كأنك تعرفنى ، إنك تخيفنى أيها الشيخ ... ما أحسبك آدميا مثلنا ...

الشيخ : « **ينهض أيضا من مقعده** » لا تخف يا باتا منى ، ما أنا إلا صديق يحب لك الخير .

باتا : أتوسل إليك .. دعنى أقبل رأسك ويديك .. «**يقبل باتا رأس الشيخ ويديه**» أتوسل إليك أن ترد قلبى إلىّ ..

الشيخ : ليس قلبك فى يدى ، بل فى يد غيرى .

باتا : فأعنى على استرداده منه .. أعنى أيها الشيخ الطيب .. أعنى .

الشيخ : يؤسفني أني لا أستطيع .

باتا : بل تستطيع .. تستطيع كل شيء .. ولكنك لا تريد .

الشيخ : لو استطعت لما أردت ، ولو أردت لما استطعت .

باتا : لأذهبن ولأستردنه بنفسي .

الشيخ : افعل إن قدرت ولست بقادر .

« ينطلق باتا نحو يمين المسرح حتى يغيب » .

الشيخ : « يمشي إلى الطرف الأقصى من يسار المسرح فيلوح بيده مناديا بصوت يشبه الهمس » سيرونا ! هلمي يا سيرونا ! « تقبل سيرونا حاملة في يمناها حقا صنوبريا في باطنه قلب باتا » .

باتا : « يسمع صوته وهو مقبل » ويلي ! لقد سرق قلبي ! من سرق قلبي ! ويل للسارق !

« يظهر من يمين المسرح ويلمح الفتاة الحسناء فيدهش ويقف حائرا ينظر إليها بذهول » .

سيرونا : « تتقدم إليه قليلا وتسأله في سذاجة » هذا قلبك؟

باتا : «لا يجيبها بل يستمر ناظرا إليها برهة ثم يتمتم » يا إلهي ... ما أروعها !

« يخر راكعا على ركبتيه ، ولا يحول طرفه عنها »

إلهي .. إني أحبها !

« يسمع صوت كأنه آت من بعيد » .

« قم إليها يا باتا فهى لك » !

باتا : **« يستمر راكعا ينظر إليها »** ....

الصوت : قم إلى سيرونا ، فهى لك !

باتا : إلهى ، إنى أخاف !

الصوت : لا تخف منها . ستكون لك كما تتمنى أن تكون .

باتا : **« يتمتم »** كما أتمنى أن تكون ؟

الصوت : أجل .. تمن يا باتا تكون سيرونا كما تتمنى .

باتا : أتمنى .. أتمنى .. أن تكون لى سيرونا .. كأمى !

« ينهض باتا ويقترب منها رويدا حتى يضع يده على يدها التى تحمل القلب . ويمشيان معا جهة اليمين وكلاهما ينظر إلى الآخر نظرات الحب والذهول والنشوة . بينما يظهر فى الطرف الأقصى من يسار المسرح ظل الشيخ وهو يقول فى صوت هادئ رهيب » :

يتمنى المرء ما يدرى وما ليس يدرى .

وإنما يأتيه ما يحسبه الخير بشر .

(ينزل الستار)

المنظر الثانى

(أمام الكوخ وقد أصبح له فناء جميل أحيط من جوانبه بأشجار صغيرة ــ الوقت عند طلوع الشمس . يفتح باب الكوخ وتخرج سيرونا تتثاءب وتتمطى وغدائر شعرها مرسلة وعلى عينيها بقايا النعاس) .

✳ ✳ ✳

سيرونا : « تتلفت حواليها » باتا ! باتا ! حبيبى باتا !

«يقع نظرها على قفص القمرية المعلق خارج الكوخ ، فتنطلق إلى داخل الكوخ وهى تغنى»

قمريتى .. قمريتى !

« تخرج من الكوخ وبيدها حب وإناء فيه ماء، فتضع الحب فى القفص والإناء كذلك ، وهى مستمرة فى غنائها » :

قمريتى قمريتى غنى معى أغنيتى !
أمنيتى أن تسعدى فحققى أمنيتى !
غنى معى لحن المنى لا تحسبينى آسرة

في مأمــن أنــت هنــا   من الطيــور الكاسـرة

« تكنــس الفنــاء وتزيــل مــا بــه مــن الأوراق المتساقطة وهي تردد غناءها » .

« تسمع وقع أقدام باتـا مـن بعـد ، فتسـرع فـي الكنس » .

ها هو ذا جـاء الحبيـب   بـالثمر الزاهـي الرطيـب

ها هـو ذا مني قريـب   إذا دعوتـــه يجيـــب !

«ترمي المكنسة من يدها وتنطلق لتستقبل باتـا»

باتا ... حبيبي !

باتا : « **يعانقها** » سيرونا .. حبيبتي !

سيرونا : إنك عدت اليوم مبكرا جدا .

باتا : نعم .. قمت مطلع الفجر ، ونظرت إليك بجانبي ، فوجدتك نائمة نوما عميقـا تتنفسـين كمـا يتنفـس الصبح . وكنت يا حبيبتـي جميلـة جـدا ، فطبعـت على جبينك قبلة ناعمة رقيقة ، ثم اختلسـت لثمـة صغـيرة مـن شـفتيك ، وانطلقـت بالسـلة وحـلاوة شفتيك في فمي !

سيرونا : لماذا يا حبيبي لم توقظني معك ؟

باتا : كرهت يا حبيبتي أن أقطع نومك السعيد .

سيرونا : أما أنا فلم أستيقظ إلا آنفا ، وقد طلعت الشمس ،

فتلفت حولى فلم أجدك ، ودعوتك يا باتا ..
يا باتا فلم تجبنى لأنك كنت بعيدا منى .

باتا : بل أنا دائما قريب منك يا سيرونا !

سيرونا : كانت قمريتى أقرب إلىّ منك ، فأجابتنى إذ سمعت صوتى .

باتا : قمريتك يا سيرونا تشتهى الحب وتشتهى الماء.

سيرونا : قد أعطيتها الحب والماء .

باتا : أما باتا فيشتهيك يا سيرونا ولا يشتهى سواك!

سيرونا : « **تقبله وتبتسم** » .

باتا : وقمريتك تشتهى الانطلاق من أسرك .

سيرونا : لست آسرة لها وإنما أحبها وأحميها .

باتا : أما باتا فأنت آسرته ومالكة لبه ، وهو الذى يحبك ويحميك .

سيرونا : (**تنظر إليه وتضحك**) .

باتا : قد تنسين يوما قفص القمرية مفتوحا فتطير منك ولا تعود !

سيرونا : لا .. لن أنسى قفصها مفتوحا أبدا .

باتا : أما باتا فلو نسيت حبه يوما لبقى لك أبدا ، ولو طرت منه لطار خلفك واقتفاك أينما تكونين !

سيرونا : (**تقبله**) لا .. لن أطير منك يا باتا .. لن أطير

منك . (**تأخذ السلة من يده**) . سأغسل وجهى في النبع وأعود إليك بالفطور .

باتا : حالا يا سيرونا .

سيرونا : (**تنطلق إلى داخل الكوخ**) . حالا يا باتا حالا .

باتا : (**يرتمى على المقعد الخشبى وينظر إلى قفص القمرية فوقه**) . أيها الطائر تشركنى فى قلبها ، وما لها فى قلبى شريك ، ولكنى لا أكرهك أيها الطائر لأنك إلى سيرونا حبيب . (**يجيل بصره فيما حوله من المناظر الطبيعية الجميلة**) .

رباه ما أسعد هذه الحياة ! هذا الجمال يكتنفنى من كل جانب . هذى المروج الخضراء وهذى الجداول الرقراقة ، وهذى السماء الزرقاء تسبح فيها الغمائم إلى غير ساحل ! وهذه أشجار الأرز الشماء كأنها أهرام منفيس ! منفيس . ما زال قلبى يتلفت إليك يا منفيس : لقد تركتك غير قال لك ولا ساخط عليك ، يا زهرة المدن ، ويا أم الدنيا ، ويا بنت النيل البكر ! ولكنى خشيت أن آثم فى واديك ، فنفيت نفسى إلى هذه البقعة القصية . وعشت فيها وحيدا ، ففرح الرب منى ورضى عنى ، فجعلها لى فردوسا ؛ إذ وهب لى فيها سيرونا ، بيد أنى وأنا

فى هذا الفردوس ما زلت أهفو إليك يا منفيس ! آه يا أنبو يا شقيقى الحبيب كيف أنت ؟ ليت لى عينا تراك ! **(تعود سيرونا وقد سرحت شعرها وفرقته فرقتين ، عقدت كلا منهما فى منتصفه بشريط من الخوص الأخضر ، وغرزت فى جانب رأسها وردة بيضاء ، وهى تحمل طبقا من الخوص فيه العنب والفاكهة)** .

سيرونا : باتا .. كيف ترانى الآن ؟

باتا : جميلة يا سيرونا .

سيرونا : أجمل مما كنت آنفا ؟

باتا : سيرونا لا تكون أجمل من سيرونا . كنت آنفا جميلة جدا ، وبقايا النعاس على عينيك ، وغدائر شعرك مرسلة تتموج على كتفيك . وأنت الآن جميلة جدا ، وقد بلل جبينك ماء النبع ، وتبسمت هذه الزهرة السعيدة على شعرك المرجل .

سيرونا : **(تجلس إلى جانبه ، وتضع الطبق بينهما ، وأخذا يأكلان)** .

(تلحظ أثر الدمع فى عينيه) . باتا ما هذا الدمع فى عينيك ؟ أكنت تبكى ؟

باتا : نعم ، بكيت قليلا يا سيرونا .

سيرونا : أأنت حزين ؟ أأنت واجد عليّ ؟

باتا : لا يا سيرونا ، أنا مسرور منك وسعيد بك .

سيرونا : فلماذا بكيت ؟

باتا : تذكرت مصر ، وتذكرت أخى أنبو فاشتقت لرؤيته .

سيرونا : أيهما أطيب ، هنا أم مصر ؟

باتا : هنا يا سيرونا أطيب .

سيرونا : لا بد أن تكون مصر أطيب لأنك تشتاق إليها .

باتا : إنما أشتاق إليها لأنها وطنى ، ولأن فيها أخى .

سيرونا : ولأن فيها المدن الكبيرة ، والقصور الجميلة ، كما حدثتنى ، والنيل العظيم الذى يجرى كالبحر .

باتا : (**يترقرق الدمع فى عينيه**) . صدقت يا سيرونا صدقت

سيرونا : تشتهى أن تعود إلى مصر ؟

باتا : نعم ، أشتهى أن أرى وطنى ، ولكنى أوثر الإقامة هنا .

سيرونا : لماذا ؟

باتا : لأن سيرونا هنا .

سيرونا : ولكن أخوك أنبو هناك .

باتا : نعم ، أخى أنبو هناك .

سيرونا : وتشتاق أن تراه ؟

باتا : نعم ، أشتاق أن أراه .

سيرونا : أنا أيضا أشتاق أن أرى مصر وأرى أخاك أنبو وأرى النيل . ألا تأخذنى معك يا باتا إلى مصر؟

باتا : نعم ، لا بد أن آخذك معى إذا ذهبت إلى مصر .

سيرونا : هيا بنا نرحل إليها يا باتا ثم نعود إلى هنا .

باتا : أخشى إن ذهبنا هناك أن لا نعود .

سيرونا : ماذا يمنعنا من العودة ؟

باتا : لن تروقنا بعد ذلك هذه العيشة البسيطة التى نحياها هنا .

سيرونا : العيشة هناك أطيب من هنا ؟

باتا : لا يا سيرونا بل المعيشة هنا أجمل وأطيب ، ولكنا سنألف الناس هناك ، فلا نستطيع بعد ذلك أن نعيش وحدنا كما نعيش الآن .

سيرونا : إنى أتمنى أن أرى الناس وأعيش بينهم .

باتا : أخشى عليك من هؤلاء الناس .

سيرونا : ماذا تخشى علىّ منهم ؟

باتا : أن يفسدوك .

سيرونا : كيف يفسدوننى ؟

باتا : يعلمونك الشر .

سيرونا : يعلموننى الشر ؟ ما هو هذا الشر الذى تذكره ؟

باتا : خير لك ألا تعرفيه .

سيرونا : بل أريد أن أعرفه .. قل لى ما هو ؟

باتا : هو غير موجود هنا فلا تستطيعين أن تعرفيه .

سيرونا : صفه لى كما وصفت لى المدن والقصور والنيل .

باتا : أنت جميلة جدا يا سيرونا . فإذا رأتك النساء هناك ووجدنك أجمل منهن يغرن منك .

سيرونا : كيف يغرن منى ؟

باتا : يكرهنك .

سيرونا : لماذا يكرهننى ؟

باتا : لأنهن يردن أن يكن أجمل منك . فإذا لم يستطعن ذلك كرهنك ؛ فهذا هو الشر .

سيرونا : أتخاف علىّ من هذا . دع النساء يكرهننى ، أنت تحبنى وحسبى ذلك . أهذا هو الشر الذى تخاف علىّ منه ؟

باتا : ليس هذا فحسب يا سيرونا .

سيرونا : ماذا أيضا ؟

باتا : إنك تحبين هذه القمرية لأنها جميلة ، فإذا رأوها معك وأعجبتهم اغتصبوها منك .

سيرونا : كيف يغتصبونها منى ؟

باتا : يأخذونها منك بدون رضاك .

سيرونا : أما توجد هناك قمارى مثلها ؟

باتا : بلى ، ولكنهم يأخذون قمريتك أيضا .

سيرونا : دعهم يأخذوا قمريتى ، سأتخذ لى قمرية أخرى من قمارى مصر .

باتا : ولكن ما رأيك لو اختطفونى منك ؟

سيرونا : (**مستغربة**) من يختطفك منى ؟

باتا : واحدة من نساء مصر .

سيرونا : لماذا تخطفك منى ؟

باتا : لتجعلنى زوجا لها .

سيرونا : ولكنك زوجى أنا . قل لها إنك زوج سيرونا ، وإنك لا تحب غيرها .

باتا : إنها ستأمرنى أن أهجرك ، وأتركك لأتزوجها بدلا منك .

سيرونا : لا . لا تطعها وقل لها إنك لن تهجر سيرونا ، ولن تتركها لتتزوج غيرها .

باتا : ستقول لى حينئذ : ابق زوجا لسيرونا ولكن كن حبيبا لى .

سيرونا : قل لها : أنا حبيب سيرونا ، وسيرونا لن ترضى أن أكون حبيبا لغيرها .

باتا : ستقول لى : لا تخبر سيرونا وكن حبيبـا لى دون أن تعلم سيرونا .

سيرونا : (تصمت هنيهـة كأنهـا تفكـر فيمـا قـال) . وهـل ترضى أنت أن تكون حبيبا لواحدة غيرى ؟

باتا : كلا يا حبيبتى ، لن أحب غيرك أبدا .

سيرونا : إذن فإنها لن تستطيع أن تخطفك منى .

باتا : أجل يا سيرونا لن يستطيع أحـد أن يختطفنى منـك .. بيد أنى أخشى أكثر من ذلك أن يختطفوك منى .

سيرونا : من يختطفنى منك ؟

باتا : رجل من مصر .

سيرونا : لماذا يختطفنى ؟

باتا : ليجعلك زوجة له .

سيرونا : سأقول له : إننى زوجة باتا .

باتا : سيقول لك : اهجرى باتا وكونى زوجة لى .

سيرونا : سأقول له : لا أهجر باتا ولا أكون زوجة لك .

باتا : سيقول لـك : لا عليـك ابقـى زوجـة لباتـا ولكـن كونى حبيبة لى .

سيرونا : أقول : أنا حبيبة باتا ، وباتـا لـن يرضـى أن أكـون حبيبة لغيره .

باتا : سيقول لك : لا تخبرى باتا وكونـى حبيبـة لى دون

أن يعلم باتا .

سيرونا : (**تصمت قليلا**) سأقول له : لا ، ما أريد أن أكون حبيبة لأحد غير باتا .

باتا : سيقول لك إنه يحبك ويعبدك ويراك أجمل نساء الدنيا .

سيرونا : سأقول له إن باتا يحبنى ويعبدنى ويرانى أجمل نساء الدنيا .

باتا : ويقول لك إنك حياته ولا يستطيع أن يحيا بدونك .

سيرونا : سأقول له إن باتا يحبنى ويعبدنى ويرانى أجمل نساء الدنيا .

باتا : سيقول لك : خذى يا سيرونا هذه الحلى النفيسة من الذهب واللؤلؤ والجوهر .

سيرونا : الحلى التى حدثتنى أن نساء فرعون ونساء الأشراف فى مصر يلبسنها فتزيدهن جمالا وفتنة؟

باتا : نعم .

سيرونا : إنى أحب هذه الحلى وأشتهى أن ألبسها .

باتا : سيقول لك خذيها لك وما أريد منك شيئا إلا أن تكونى مسرورة .

سيرونا : « **تصمت قليلا** » إذن آخذها يا باتا وأفرح بها .

باتا : إذن تقعى فى الشر الذى أخافه عليك .

سيرونا : (**مستغربة**) لماذا يا باتا ؟ أهذه الحلى شر أيضا ؟

باتا : (**يتغير وجهه**) نعم ، شر حين تقبلينها من أحد غير زوجك .

سيرونا : ماذا بك يا باتا ، أأنت غاضب ؟

باتا : (**بحدة**) احذرى يا سيرونا أن تقبلى هذه الحلى من ذلك الرجل . أتفهمين كلامى ؟

سيرونا : (**مرتاعة**) نعم يا باتا نعم . إذا كنت تكره هذه الحلى فإنى سأكرهها مثلك .

باتا : (**بحدة زائدة**) لا يهمنى أن تحبى الحلى أو تكرهيها ، ولكن لا تقبليها من ذلك الرجل . أسمعت ؟

سيرونا : (**في خوف وضراعة**) نعم سمعت يا باتا .. لن أقبلها من ذلك الرجل .

باتا : (**يهز كتفيها**) ولا من غيره أيضا !!

سيرونا : (**بصوت يخالطه البكاء**) لماذا تهزنى هكذا ؟ لماذا تكلمنى هكذا بغضب ؟ أما تحبنى يا باتا ؟

باتا : (**ينظر إلى الدمع فى عينيها فتدركه الرقة**) بلى يا سيرونا أحبك ... أحبك .. هل آلمتك يا حبيبتى ؟

سيرونا : نعم آلمت كتفى ..

باتا : (**يقبلها**) سامحينى يا حبيبتى .. لن أولمك مرة

أخرى أبدا .

سيرونا : أأنت راض عني الآن ؟

باتا : نعم يا سيرونا ، أنا راض عنك دائما .

سيرونا : وتأخذني معك إلى مصر ؟

باتا : نعم نعم ، سآخذك معي إلى مصر .

سيرونا : **(تقبله فرحة)** متى يا باتا ، متى نذهب إلى مصر ؟

باتا : قريبا يا سيرونا قريبا .

(ينهض) سأذهب الآن لأصطاد ظبيا .

سيرونا : (تنهض) وأنا سأصطاد معك .

(تدخل الكوخ وتخرج حاملة معها قوسين - يأخذ باتا قوسه منها ويمشيان معا نحو يمين المسرح) .

« ينزل الستار »

المنظر الثالث

فى منفيس بمصر ـ فى منزل (أنبو) شقيق باتا الأكبر ـ بهو كبير يقع عن يمينه المخدع الذى خصصه أنبو لنزول باتا وزوجته . ويقع عن يساره مخدع نفرورا زوجة أنبو ـ يظهر فى البهو الأخوان أنبو وباتا .

***

أنبو : ما تفتأ يا باتا تذكر العودة إلى لبنان . أليست مصر وطنك ووطن آبائك ؟ أما تحب مصر يا باتا ؟

باتا : بلى يا أخى ، إنى لأحب مصر وطنى ، ولكننى قد ألفت العيشة فى الجبل ، فتراني دائما أحن إليه .

أنبو : إنما تنشأ الألفة من طول الإقامة ، وإنك لما تقم بمصر إلا أشهرا قلائل ، فلو أقمت بها بضعة شهور أخرى لرجوت أن تنسى ، وتألف مصر كما ألفتها من قبل .

باتا : يؤسفنى أن أقول لك يا أنبو أننى لا أستطيع أن أنسى لبنان أبدا .

أنبو : ما أدرى ماذا يعجلك فى السفر إلى لبنان ، وقد ألفت زوجتك سيرونا الحياة فى مصر ، وما أحسبها لو خيرت تختار السفر .

باتا : إنما حبب مصر إلى سيرونا أن الحياة بها جديدة عليها بعد ، وعما قريب تذهب هذه الجدة فما تلبث أن تحن إلى وطنها فى الجبل .

أنبو : ولكنى يا باتا لا أصبر على فراقك بعد إذ عدت إلىّ من غيبتك الطويلة ، لقد كنت حزين الفؤاد طوال السنين التى قضيتها بعيدا عنى ، قلقا عليك لا أدرى أين كنت وكيف كان حالك . وكنت أدعو الرب صباحا ومساء أن يعيدك سالما إلىّ ، فلما استجاب الرب دعائى ، وتمت بقدومك سعادتى ، إذ بك تروعنى بالفراق فراقا ربما لا أراك بعده مرة أخرى !.

باتا : إنى لأعلم يا أنبو أن فراقى سيحزنك كما يحزننى فراقك ، ولكن لن يعجزك الصبر عليه ، فلن تقلق على أخيك إذ تعلم أنه سعيد هناك .

أنبو : إنى لأعجب يا باتا ، كيف آنس بقربك ولا تأنس بقربى .

باتا : بلى يا شقيقى الحبيب ، إنى أحبك كما أحب أبى ،

وآنس بقربك ، ولكن ...

أنبو : ولكن ماذا ؟

باتا : لا أستطيع البقاء بمصر .

أنبو : هل ثم شيء يضايقك هنا تكتمه عنى ؟

باتا : كلا يا أنبو .. لا شيء .. لا شيء .

أنبو : (مداعبا) لعلك تخشى أن أنيط بك عملا شاقا فى المزرعة تقوم به كدأبك فيما سلف ؟

باتا : كلا يا أخى ، لا يسوءنى قط أن أقوم بخدمة لك .

أنبو : ألم تر أنا قد أصبحنا اليوم من الأغنياء بعد أن أقطعنى مولاى فرعون أرضا واسعة ، وأعفانى من الضرائب ، وجعلنى من الأشراف ، فلم أعد أحرث الأرض بنفسى ، بل يقوم لى بذلك الخدم ، وحسبى الإشراف على العمل ، وقد توليته عنى أمس حين خرجت وحدك إلى المزرعة . فهل وجدته شاقا عليك ؟ إن كان كذلك فإنى أعفيك منه وأتولاه بنفسى .

باتا : لا يا أخى ، إنه لعمل هين ، وإنى لا أستنكف حتى الآن أن أحرث الأرض بنفسى ، وما زلت أذكر بالخير تلك الأيام السالفة ، حين كنت أعمل معك فى حرث الأرض وفلاحتها .

أنبو : لا يا باتا لم نعد بحاجة إلى ذلك الآن .

باتا : من أجل هذا استأذنتك فى السفر إلى لبنان ، ولو كنت بحاجة بعد إلى مساعدتى ، لآثرت البقاء بمصر لأقوم لك بالخدمة الواجبة فى أرضك .

أنبو : إنى سأكتب لك بنصف هذه الأملاك كلها ليكون لك ولزوجتك وذريتك من بعدك .

باتا : أشكرك يا أنبو على كرمك وحبك لى ، ولكن ما نفع هذه الأملاك لى وأنا لا أنوى البقاء بمصر ؟

أنبو : وسأسعى لدى مولاى فرعون أن يجعلك من الأشراف.

باتا : وماذا ينفعنى هذا اللقب وأنا فى جبل لبنان ؟

أنبو : عجبا .. هل للحياة فى جبل لبنان كل هذا السحر حتى تصرفك عن مصر وعن الغنى والجاه ؟

باتا : هناك راحة النفس يا أنبو وسعادة القلب .

أنبو : وأسفا ، يخيل لى أننى عاجز أن أصرفك عما اعتزمته ، فلتقم بيننا برهة أخرى نستمتع فيها بقربك ، ولك بعد ذلك ما تختار .

باتا : أتأذن لى بعد ذلك فى السفر ؟

أنبو : نعم إذا شئت .

باتا : (يقبل رأس أخيه) شكرا لك .

أنبو : (ينهض) آن وقت الخروج إلى المزرعة ، فهل لك أن ترافقنى إليها .. أم ..

باتا : إن نفرورا وسيرونا لم تجيئا بعد من قصر فرعون ، أفلا أنتظرهما فى المنزل ثم ألحق بك ؟

أنبو : صدقت .. هذا خير وأصوب . (يخرج) عش سعيدا .

باتا : صحبتك السلامة .

باتا : (وحده) وارحمتا لك يا أنبو ما أطيبك وما أجدرك أن تكون لك امرأة صالحة . آه لو علم أخى ما أكابد من شرور امرأته لعذرنى فى تعجيلى بالسفر .

: (يمشى فى البهو جيئة وذهوبا) طال غيابهما فى بلاط فرعون .. ليت شعرى ما تصنع سيرونا هناك ؟ ذاك الفرعون الداعر ... ويل له .. ويل لنفرورا الفاجرة ، إنها تنتقم منى .. انتقام دنىء .. إنها تساومنى لتستدرجنى إلى قبول ما عرضت .. كلا .. كلا .. لن أقبل .. لن أقبل وليكن ما يكون . لكن .. سيرونا .. سيرونا الطاهرة البريئة .. سيرونا التى لا تعرف معنى الشر .. أتراها .. ؟ لا .. لا ، لن ترضى .. إنها تحبنى .. إنها نشأت فى أحضان الجبل الطاهر .. إنها ..

: (يسمع وقع أقدام فيتظاهر بالهدوء) ها هما تان أقبلتا ..

تجلد يا باتا ! **(تظهر نفرورا)** .

نفرورا : **(فى دلال)** ما تصنع هناك وحدك يا باتا ؟

باتا : **(لا يجيبها)** .

نفرورا : **(تدخل تـوا إلى مخدعها وتقف على بابه تتطلع فى شماتة)** .

سيرونا : **(تدخل مهرولة وتقبل على زوجها)** باتا !.

باتا : **(يستقبلها)** نعم يا حبيبتى .

سيرونا : **(تشير إلى عنقها)** . أما تبصر هذا العقد اللؤلؤى الجميل ؟ إنه من فرعون ، أعطانى إياه .

نفرورا : لا تقولى من فرعون يا سيرونا .. قولى : من مولاى فرعون .

سيرونا : نعم .. نعم .. من مولاى فرعون . أتعرف ماذا قال لى اليوم ؟

باتا : **(فى اضطراب يحاول كتمه)** ماذا قال لك ؟

سيرونا : قال لى إننى أجمل من جميع النساء فى مصر .

نفرورا : وماذا قال لك أيضا يا سيرونا ؟ أخبرى زوجك باتا ليفرح !

سيرونا : نعم ، قال لى إنه سيجعلنى ملكة مصر !

باتا : إن جعلك ملكة مصر فمعنى ذلك أنك لن ترى زوجك

باتا و لم يراك .

سيرونا : كلا يا حبيبى ، بل سنقيم معا فى البلاط الفرعونى .. قال لى ذلك مولاى فرعون .. أليس كذلك يا نفرورا؟

نفرورا : نعم ، إنه سيخصص لكما أجمل جناح فى القصر العالى !

باتا : (**يكتم امتعاضه**) يا حبيبتى ، إن مولاك فرعون ....

نفرورا : (**مقاطعة**) مولاك ؟ لم لا تقول مولاى فرعون ؟ أليس هو مولاك أيضا يا باتا ؟

باتا : (**يرمقها شزرا**) اسكتى ، لا شأن لك !

(لسيرونا) إن مولاك فرعون إنما يريدك أنت ولا يريدنى .

سيرونا : بلى .. إنه يريدك أيضا .. سترى ذلك بعينيك ، وتسمعه من فمه حين تزوره الآن معى .

باتا : (**بغضب**) ولكنى لا أزور فرعون ولا أذهب إليه .

سيرونا : فيم يا باتا ؟

نفرورا : إن زوجك لا يريد لك السعادة يا سيرونا ، ولكنه يريد أن يهرب بك إلى حيث كنتما فى منقطع الجبل ، حيث لا ترين أحدا ولا يراك أحد . أليس حراما يا باتا أن يقبر مثل هذا الجمال الذى أطراه مولانا فرعون فلا يراه أحد ؟

باتا : (**ينفد صبره**) اسكتى .. قطع لسانك !

نفرورا : مالك تغضب منى أن نصحتك وقلت لك الحق ؟

باتا : (مغضبا) اخرسى قلت لك !

سيرونا : فيم يا حبيبى تنهر نفرورا هكذا ؟ لا يا باتا ، أنت قاس على أختى نفرورا .

باتا : (يكظم غيظه) ..

نفرورا : إن باتا يكرهنى لأنى أحب لك السعادة والخير . آه يا أختى ! لو كان لى زوج مثل باتا لا يريد الخير إلا لنفسه ، ولا يعبأ بسعادة زوجته ، لتركته وذهبت إلى مولاى فرعون إذا دعانى للإقامة فى بلاطه ليكون لى شرف الاتصال به !

سيرونا : (تصمت قليلا) لماذا لا تريد لى السعادة ؟ ألست تحبنى يا باتا ؟

باتا : بلى يا سيرونا إنى أحبك ، ومن أجل حبى لك أخشى عليك الوقوع فى الشر .

سيرونا : الشر ؟

نفرورا : إنه يسمى سعادتك شرا يا سيرونا ، لأنه لا يحب لك أن تسعدى .

باتا : (ملاطفا لسيرونا) ألست تحبيننى يا سيرونا ؟

سيرونا : كيف لا أحبك ؟ كيف تقول هذا ؟

باتا : إذن فلماذا لا تسمعين كلامى ؟

سيرونا : بل إنى أسمع كلامك يا باتا .

باتا : فلا تذهبى إلى البلاط .

سيرونا : **(واجمة لا تدرى ما تقول)** ...

نفرورا : إنه يدعى أنه يحبك يا سيرونا ، فلماذا لا يسمع كلامك ؟ سليه هل يحبك ؟

سيرونا : **(لزوجها)** هل تحبنى يا باتا ؟

باتا : أحبك يا سيرونا وأعبدك .

نفرورا : **(لسيرونا)** قولى له فلماذا لا يطيعك ولماذا يكره لك السعادة ؟

سيرونا : **(لزوجها)** فلماذا لا تطيعنى ولماذا تكره لى السعادة ؟

باتا : كلا يا حبيبتى ، إنى أطيعك ، وأحب السعادة لك .

نفرورا : قولى له يذهب الآن معك إلى البلاط فمولانا فرعون فى انتظاركما .

سيرونا : نعم هيا بنا يا باتا نذهب إلى البلاط فمولانا فرعون ينتظرنا .

باتا : إنك جئت من البلاط آنفا ، فكيف تريدين العودة إليه الآن ؟

نفرورا : إن مولانا فرعون لم يأذن لنا بترك البلاط آنفا إلا بعد أن

وعدناه أن سيرونا ستعود إليه حالا ، وما جاءت هنا إلا لتأخذك معها !

سيرونا : أجل ، إن مولاى فرعون لم يأذن لى بالمجىء إلى هنا إلا لآتى بك إلى البلاط .

باتا : **(واجما يكاد يتميز من الغيظ)** ...

نفرورا : إذن فارجعى أنت يا سيرونا وحدك ، فلا ينبغى لك أن تخلفى وعدك لصاحب القصر العالى ، وسألحق بك حالما يأتى زوجى أنبو من المزرعة .

سيرونا : **(تأخذ باتا ملاطفة)** بل تذهب الآن معى يا باتا لترى القصر العالى ، وليكرمك مولانا فرعون كما أكرمنى .

باتا : لا أستطيع الذهاب إلى فرعون يا سيرونا .. أصغى لى يا حبيبتى : إنك بين أمرين : إما أن تحبينى وإما أن تحبى فرعون . فإن كنت تحبيننى فابقى هنا ولا تذهبى إلى فرعون ، وإن كنت تحبينه فاذهبى إليه !

سيرونا : إننى أحبك يا باتا ، وأحب فرعون أيضا .

باتا : تحبين فرعون ؟

سيرونا : ...... ؟

نفرورا : لم لا ؟ كل الناس يحبون فرعون !

سيرونا : نعم .. كل الناس يحبون فرعون .. ولكنى أحبك أكثر

يا باتا ، لأنك تحبني أكثر .

باتا : إنه سيأخذك مني يا سيرونا .

سيرونا : كيف يأخذني منك ؟

باتا : يتخذك زوجة له .

سيرونا : كلا ، إنه يعلم أنني زوجتك .

باتا : ألم يقل لك إنه سيجعلك ملكة مصر ؟

سيرونا : بلى ، قال لى إنه سيجعلنى ملكة مصر ولم يقل لى إنه سيجعلنى زوجة له .

باتا : إنما تكونين ملكة مصر حين تكونين زوجته .

سيرونا : إذن فسأقول له إننى ما أريد أن يجعلنى ملكة مصر .

باتا : بارك الرب فيك يا سيرونا . لن يجعلك فرعون ملكة مصر ، ولن يتخذك زوجة له ، ولكنه سيفرق بينى وبينك ويأخذك لنفسه .

نفرورا : لن يأخذها فرعون لنفسه إلا إذا رضيت ، ولن ترضى إلا إذا كرهت زوجها ، ولن تكره زوجها إلا إذا كان زوجها يكرهها ولا يريد لها السعادة ، إننى أحب زوجي أنبو لأنه يحبنى ويحب السعادة لى . ولكنه لو منعنى يوما من الذهاب إلى البلاط لكرهته ! آه يا سيرونا ليت لى جمالا كجمالك ! إذن لأحبنى فرعون

وأخذني لنفسه وجعلني ملكة مصر !

باتا : (**مغضبا**) تلوثين أفكارها وتفسدينها عليّ !

نفرورا : (**مستمرة فى حديثها**) أى امرأة فى الدنيا لا تتمنى أن تكون ملكة مصر ؟

باتا : ابتعدى عنها يا سيرونا ، ولا تصدقى قولها ، فإنها تريد أن تفسدك عليّ .

نفرورا : أجل ، اذهبى عنى يا سيرونا .. اذهبى إلى البلاط كما وعدت فرعون .

سيرونا : أأذهب وحدى يا باتا .. ألا تذهب معى ؟

باتا : اذهبى ... اذهبى وحدك !

(**بصوت منخفض**) ليس فرعون بأشد خطرا عليك من هذه الحية الرقشاء ! (**تتقهقر سيرونا فى تردد ثم تخرج**) .

نفرورا : (**تقهقه قهقهة طويلة ، وتخرج إلى البهو بعد أن خلعت معطفها**) .

باتا : (**يدنو منها**) هل سرك الآن يا نفرورا أن قد أفسدت سيرونا عليّ ؟

نفرورا : (**شامتة**) أفهمت الآن أن نفرورا لا يعجزها شيء تريده ؟ ها هى ذى سيرونا قد ضاعت من يدك ! سيفتح لها فرعون خزائنه ويريها مجوهراته ، وقد زاغ بصر المسكينة

لما رأت بعضها ، فكيف لو رأت سائر ما هناك ؟ ولا تنس أن فرعون شاب جميل الصورة ، وله عينان قاهرتان لا يسلطهما على امرأة مهما كانت عفيفة إلا وقعت بين أحضانه !

باتا : لأمنعنها من الذهاب إليه !

نفرورا : إنك لن تقدر على منعها يا باتا ، ولو منعتها لاستلبها منك بالقوة .

باتا : (يقف واجما حائرا) ..

نفرورا : (تغير لهجتها) مسكين أنت يا باتا ! لا تيأس يا حبيبى الجميل ! سيرونا لم تضع بعد من يدك .. فى وسعك بقليل من الحكمة أن تستردها وتصلحها .. بقليل من الحكمة يا باتا !

باتا : كيف يا نفرورا أستردها ؟ قولى لى بحياتك !

نفرورا : نفرورا التى تحبك تستطيع أن تستنقذها لك من فرعون وتصرفه عنها .

باتا : فما يمنعك من ذلك ؟ لم لا تسدين إلىّ هذا الجميل ، فأحفظه لك إلى الأبد ؟

نفرورا : لأن فى مستطاعك يا حبيبى أن تسعدنى وتشفى آلامى ، ففيم تبخل على بأمر لا يكلفك شيئا وهو عندى كل

شيء ؟

باتا : إنك تطلبين مني ما لا أقدر عليه .

نفرورا : ما أطلب منك أكثر مما تقدر عليه .. ساعة واحدة ننام فيها معا .. ضمة قصيرة إلى صدرك هذا الذى يشبه صدر الأسد .. قبلة صغيرة يطبعها فمك هذا الشهى على شفتى الظامئتين .

باتا : **(صائحا)** صه ، اخرسي أيتها الـ ...

نفرورا : فاجرة ، نعم قل لى يا فاجرة ... قل لى يا عاهرة ... قل لى ما تشاء ؛ إنى أعفو عنك وأحتمل ذلك منك .. ولكن ارحمنى بحياتك .. أتوسل إليك ...

باتا : **(يغطي وجهه بيديه)** حسبك .. حسبك !

نفرورا : يا حبيبى يا باتا ، يا صغيرى ، ما أقسى قلبك ! أما تذكر عشرتنا الطويلة ؟ أتنسى أنك حين استنقذك أخوك من أيدى اللصوص ألفيت أمك قد ماتت ، فلم تجد غيرى أما تحنو عليك ، وتعنى بشئونك ؟ أتنسى أننى نفرورا التى كانت تخيط ملابسك ، وتعد طعامك ، وتهيىء فراشك ، وتسهر عليك إذا مرضت وتحول بين أخيك وبينك إذا أراد أن يضربك ؟ نفرورا التى كنت تحبها وتطيعها وأنت غلام صغير ، فلما كبرت واشتد

ساعدك أنكرتني وكرهتني وعصيت أمرى !

باتا : (لا يجيب) .

نفرورا : ألا تجيبنى ؟

باتا : كنت أحبك كما أحب أمي وأطيعك كما أطيعها .

نفرورا : (فى غنج) ولكنى لست أمك يا باتا ...

باتا : أجل لست بأمي ، ولكنك زوجة أخي ..

نفرورا : وماذا فى هذا ؟ ألا ترى أنك لو كنت أكبر الأخوين لكنت زوجتك ولكان أنبو أخا زوجى !

باتا : ولكن هذا لم يقع ، وإنما الواقع أنك زوجة أنبو ، وعلى باتا أن يرعى حرمة أخيه ويحفظه فى زوجته .

نفرورا : ثق أن أخاك لن يعرف شيئا مما بيننا ، فإننى كتوم للسر يا باتا . ألا ترى أنك هربت منى قبلا ، فهل عرف أخوك قط سبب فرارك ؟

باتا : ما خوفى من أن يعلم أخى أننى خنته بأعظم من خشيتى أن تحل علىّ لعنة ربى ، إذا أنا خنت أخى فى زوجته .

نفرورا : تخشى ويحك من لعنة الرب وأنت واقع فيما هو أعظم منها وأنكى : أن تهجرك سيرونا وتغتصب من يدك ، وأنت تحبها وأخشى أن تهلك عليك غما . أفتخشى

لعنة أعظم من هذه التى أنت فيها ؟

باتا : إن اللعنة التى أنا فيها ليست بفعل منى ، بل بفعل غيرى ، ولكن اللعنة التى أخشاها لن تحل بى إلا بسوء عملى .

نفرورا : أنت واهم يا باتا ، فاللعنتان متساويتان ، كلتاهما بفعلك إن شئت ، أو بفعل غيرك إن شئت .

باتا : ماذا تعنين ؟

نفرورا : أعنى أن العذاب الذى أنت فيه يمكن أن ينسب إلى فعلك أيضا ، لأنك امتنعت عن طاعتى ، ولو أجبتنى إلى ما أريد لما حل بك هذا العذاب ، ولعنة الرب التى تخشاها يمكن كذلك أن تنسبَ إلى فعل غيرك ، لأنها إن حلت بك فسيكون ذلك بفعلى أنا لا بفعلك ، فأنا التى حملتك عليه ، وحسبك عفة أنك تأبيت واستعصمت حتى اضطررتك إليه اضطرارا .

باتا : ويل لك من ماكرة ! أتريدين أن تخدعينى عن نفسى وتسلبى منى عقلى ؟ إن العذاب الذى أنا فيه لا أستطيع أن أدفعه عنى إلا بفعل أثيم يسخط الرب علىّ وهو خيانتى لأخى . فأما اللعنة التى أخشاها ففى وسعى أن أدفعها بفعل جميل يرضى به الرب عنى .. ألا وهو حفظى لعرض أخى .

نفرورا : يا صغيرى من علمك كل هـذا ؟ آه مـا أذكـاك .. ومـا أحلاك لولا هذا العناد فيك !!

(**تصمت قليلا ثم تلتمع عيناها**) أيعنيك كثيرا أن تصون عرض أخيك ؟

باتا : ذلك واجبى ولن أتخلى عنه .

نفرورا : (**تبتسم ابتسامة فاجرة**) حسنا يا حبيبى .. إنك إذ تجيبنى إلى سؤالى إنما تصون عرض أخيك !.

باتا : ويلك ما تقولين ؟

نفرورا : (**تضحك**) تصوننى عن غيرك فتصون بذلك عرض أخيك . أتظن أن أحدا يمتنع عنى إذا دعوته إلى نفسى ؟

باتا : (**مذعورا**) ما أهولها من كلمة ! لا لا يا نفرورا .. لن تفعلى ذلك .. لن تفعلى ..

نفرورا : أجل ، لن أفعل ذلك ما بقى لى أمل فى قلبك هذا القاسى ، لأننى أحبك يا باتا ولا أخونك . ولكن إذا يئست منك ..

باتا : إذا يئست فماذا ؟

نفرورا : أخونك وأخون أخاك ولا أبالى !.

باتا : هذا شأنك أنت وليس بشأنى .

نفرورا : اعترف إذا أنك لا يعنيك كثيرا أن تصون عرض أخيك .

باتا : كذبت يا امرأة ! لقد صنت عرض أخـى فيمـا مضـى ، ولأصونته ما حييت . وحياة أخى لـو شـهدت أحـدا يخونه فيك لأقتلنه !

نفرورا : يا للشهامة ! ما أسـعد أخـاك بغيرتك الشـديدة عليـه . تـرى لـو كـان فـى مكـانك وراودتـه سيرونا بمثـل مـا راودتك ، وتأتت له بكل سبيل ليخونـك فيهـا ، أكـان يمتنع عنها ويصون عرضك فيها ؟

باتا : لا شك عندى فى ذلك فهو أفضل منى وأطهر منى ذيلا ، ولو خان الناس كلهـم مـا خـانني ، وقـد ربـانى صغـيرا واعتبرنى ابنا له واعتبرته والدا لى .

نفرورا : إنك لطيب القلب يا باتا . أنـت لا تعـرف أخـاك كمـا أعرفه أنا ، ولـو عرفتـه لمـا شـككت أن لـو غمـزت لـه سيرونا حاجبيها لجرى يلهث وراءها ، ولمـا تـردد لحظـة فى خيانتك ، ومن يدرى لعل ما نفترضه الآن فرضا قـد وقع فعلا ! ألم يخلوا أمس فى المنزل حين كنت أنت فـى المزرعة وكنت أنا فى البلاط .. فما الذى كان يمنع ؟

باتا : حاشا أنبو وحاشا سيرونا ! إنهما لأطهر مما تقولين .

نفرورا : نعم فى وسعك أن تقول : حاشا أنبو وحاشـا سـيرونا ، ولكن ليـس فـى وسعك ولا فـى وسـع أحـد غـيرك أن يقطـع بـأن شـيئا ممـا وقـع لم يقـع ! قـل لى يـا صغـيرى

أتستطيع أن تنكر إمكان ذلك ؟

باتا : ما أنكر الإمكان ولكنى أنكر الوقوع .

نفرورا : ها أنت ذا قد أثبت الإمكان معى ، فماذا عليك لو تشجعت وخطوت معى خطوة أخرى ؟

باتا : حاشا أخى وحاشا زوجتى !

نفرورا : حسنا .. تعز يا صغيرى بترديد هذا القول ، فقد يكون فيه عزاء لك ، ولكنى لا أخدع كما تخدع .

باتا : كما أخدع ؟ من قال لك أننى أخدع ؟

نفرورا : عفوا .. لم تقل لى إنك تخدع . ولو علم المخدوع أنه يخدع لكان غير مخدوع !.

باتا : دعينى من فلسفتك الكاذبة وظنونك الآثمة !

نفرورا : إن لم تكن فلسفتى هذه كاذبة عندك ، فلا تلمنى ، ولم الحياة التى أملتها ! وإن تكن ظنونى هذه آثمة فيما ترى فلا لوم علىّ أيضا ، ولم إن شئت قرائن الأحوال !

باتا : فلسفتك كاذبة لأنها مغرضة .

نفرورا : وهل فى الدنيا فلسفة غير مغرضة ؟

باتا : وظنونك آثمة لأنك آثمة تظنين الناس جميعا مثلك آثمين !

نفرورا : وأنت يا باتا طاهر تظن أن الناس جميعا مثلك طاهرين !

باتا : بل أعلم أن فى الناس آثمين مثلك ، وطاهرين مثلى ومثل أخى وزوجتى !

نفرورا : أما طهرك أنت فلا برهان عليه أقوى مما أكابد فيه من هذا العذاب الطويل — وإن كنت لا أزال أطمع فى حنانك — ولكن الأمر فى أخيك وزوجتك مختلف .

باتا : مختلف عندك .

نفرورا : لا تقاطعنى .. دعنى يا صغيرى أشرح لك . أما أخوك فرأيى فيه أصدق من رأيك لأنى أعرف به منك . وأما سيرونا فما أنكر أنك أكثر مداخلة لها منى ، ولكن لا تنس أنها بلهاء ساذجة ، ثم لا تنس كذلك أن المرأة أصدق حكما على أختها منكم معشر الرجال .

باتا : تسمين طهارتها بلاهة وسذاجة ، أتعنين يا ماكرة أنك أطهر منها وأعف ؟

نفرورا : إنك تظلمنى يا باتا إذ تقوّلنى ما لم أقله ، لست أطهر منها ، حاشا لى أن أدعى ذلك ، ولكنها ليست بأعف منى ..

باتا : كلا بل هى أعف منك وأطهر .

نفرورا : عجبا لك أن تثق بعفة زوجتك هذه الثقة وتخشى عليها من التردد على بلاط فرعون ! وأعجب من هذا أن تصون عرض أخيك ولا تصون عرضك من أخيك !

باتا : تريدين أن تفسدينى على أخى ليكون لك ما تطلبين ، فلا وجلال الرب لا أنيلك ما تبتغين !

نفرورا : تبا للأيام ! ما أبعدها عن العدل في قسمة حظوظ الناس . أنبو سعيد سعيد ، وأنا شقية شقية !

باتا : لا تذكرى أنبو ، فما أحراه بالسعادة لولاك ! أما أنت فأنت التى جلبت الشقاء لنفسك .

نفرورا : لا تعجل يا باتا . إن أنبو سعيد لأننى لا أغار عليه إذا غازل سيرونا أو غيرها ، فأنا مشغولة عنه بحبك فهو فى أمان منى ، وأنت يا زوج سيرونا ما تشك قط فى طهارته فهو فى أمان منك . أما أنا فشقية إذ وقعت فى حب من لا يرق لى لأنه مشغول عنى بحرصه على صيانة عرض أخيه .

باتا : بل ما أشقى أنبو بك ! ما كفاك أن تخونيه حتى تتهميه وتطعنى فى خلقه .

نفرورا : ما أتهم أخاك وما ألومه أن راقت سيرونا فى عينه ، فهى أجمل منى تكوينا وأنضر منى شبابا ، وإن لم يكن لها ذكائى وحرارة شعورى وهما ميزتاى ، وما يفهمهما أنبو ، وإنما أنت يا باتا تستطيع أن تفهمها . **(تقترب منه فيتباعد عنها)** انظر إلىّ يا باتا وانس لحظة إننى امرأة أخيك . ألست حلوة فى عينيك ؟ أما يشتهينى قلبك ؟ أما تشتهى هذا العرام الذى يتوثب فى عروقى ، وهذه الشيطنة التى تتوقد فى رأسى ؟

باتا : إليك عنى يا خائنة !

نفرورا : لقد قال لى فرعون يوما وقد حدق فى شفتى : إنك يا نفرورا لو ضممت ميتا قد بردت أطرافه لأعدت إليه الحرارة والحياة . فقلت له مازحة : والحى يا مولاى ؟ فقال : لا شك أنه يحترق . قلت له : ولكن زوجى لم يحترق . فقال : إن أنبو تحت الموت بدرجات ! **(تضحك ضحكة عالية)** .

باتا : ويل لك ! أوقد بلغ بك خبثا وفجورك أن تسخرى من زوجك وتتندرى عليه فى مجلس فرعون الداعر ؟

نفرورا : سيرونا الآن عند هذا الفرعون الداعر ! ألا تخشى عليها منه ؟ أنا وحدى أستطيع أن أستنقذها لك . أطعنى يا باتا قبل أن يفوت الأوان .

باتا : **(بصرامة)** يفوت الأوان أو لا يفوت .. لا أطيعك !

نفرورا : **(تغير لهجتها)** إذن ... إذن أقول لأخيك إنك راودتنى عن نفسى !

باتا : لن يصدق أنبو بهتانك .

نفرورا : سأقول له إنك قد راودتنى أيضا فى الماضى ، فلما خشيت أن يعلم أخوك هربت من مصر .

باتا : يا لك من أفاكة أثيمة !

نفرورا : أتظن يا صغيرى أن زوجى سيكذبنى ويصدقك ؟

باتا : (في شيء من الرقة) أتعرفين يا نفرورا ماذا أنت صانعة ؟

نفرورا : نعم أعرف ما أنا صانعة .

باتا : ستؤلمين زوجك وتقضين على سعادته .

نفرورا : لا أبالى .

باتا : (يصمت حائرا) ...

نفرورا : (تمسك بذراعيه) أطعنى يا باتا فأعيد سيرونا إليك .

باتا : (يجذب ذراعيه من يديها) كلا .. لا تعيدى سيرونا إلىّ ، لا أبالى بسيرونا !

نفرورا : (تعود فتتعلق بعنقه) أطعنى يا باتا فلا أقول لأخيك شيئا .

باتا : (يدفعها عنه بشدة فتقع على الأرض) إليك عنى ! قولى لأخى ما شئت ... لا أبالى !

نفرورا : (طريحة على الأرض ترمق باتا بنظرة هائلة وهو يغادر البهو) آه ! آه !

(تمسح الدم عن جبهتها) غلبتنى .. غلبتنى .. لأنتقمن منك !

« ينزل الستار »

المنظر الرابع

نفس المنظر السابق ـــ يظهر أنبو وزوجته نفرورا واقفين فى البهو ؛ وهما يتهامسان ، وأنبو عابس الوجه .

***

أنبو : (ينظر إلى جهة الباب) .

ها هو ذا أقبل .. دعينى أكلمه وحدى .

ادخلى أنت مخدعك .

نفرورا : (تنسحب إلى مخدعها) احذر يا حبيبى أن يخدعك ؟.

(يقعد أنبو على أحد الكراسى) .

باتا : (يدخل) عم مساء يا أنبو .

أنبو : عم مساء يا باتا .

باتا : كيف وجدت العمل فى المزرعة ؟

أنبو : على خير ما يرام . أراك تسألنى عن المزرعة ، فهل يعنيك أمرها كثيرا يا باتا ؟.

باتا : يعنينى أمرها ، كما يعنيك يا أخى .

أنبو : لا تقل هذا . لو كان حقا ما تقول لرافقتنى اليوم إليها ، ولما آثرت البقاء هنا فى المنزل !

باتا : كنت وافقتنى على بقائى فى المنزل حتى تعود نفرورا وسيرونا من البلاط .

أنبو : آنست منك ميلا إلى التخلف فى المنزل فتركتك لعل لك حاجة تقضيها هنا !.

باتا : لا شىء غير أن تجدنى نفرورا وسيرونا حين تعودان من البلاط ، لعلهما تحتاجان إلى شىء أقضيه لهما فى البيت .

أنبو : فهل قضيت لهما شيئا ؟

باتا : لا يا أخى ، ما احتاجتا إلى شىء .

أنبو : (**يشير إلى كرسى أمامه**) استرح يا أخى ، لا تبق واقفا . (**يقعد باتا على الكرسى**) .

أنبو : وأين كنت آنفا ؟.

باتا : كنت أتنزه على شاطئ البحر ؟.

أنبو : هل قضيت يومك كله متنزها على شاطئ البحر ؟.

باتا : لا .. بل منذ ساعتين فقط .

أنبو : فأين كنت قبل ذلك ؟.

باتا : هنا فى البيت .

أنبو : وحدك ؟.

باتا : لا .. كانت نفرورا هنا فى البيت .

أنبو : وكانت سيرونا أيضا هنا .. أليس كذلك ؟ فيم كنتم تتحدثون أنتم الثلاثة ؟.

باتا : لم تلبث سيرونا هنا طويلا ، فلم تكد تجىء من البلاط حتى عادت إليه .

أنبو : عادت إلى البلاط وشيكا ؟ عجبا .. أأذنت لها بذلك ؟.

باتا : ألحت علىّ فما وسعنى إلا أن آذن لها .

أنبو : إذن كنتما هنا وحدكما أنت ونفرورا .

باتا : نعم .

أنبو : فيم كنتما تتحدثان ؟ لا بد أنك حدثتها عن الحياة فى جبل لبنان وجمال الطبيعة هناك ، فهو الحديث المفضل عندك ... حتى سيرونا تميل إلى الحديث عن الجبل ، فقد حدثتنى عنه كثيرا أمس حين خلوت معها فى البيت .

باتا : **(يبدو عليه شىء من الارتباك)** .

أنبو : ما بالك لم تجبنى يا باتا ؟ هل خضتما فى حديث غيره ؟ أحدثتك هى عن بلاط فرعون ؟

باتا : لا .

أنبو : أحدثتها أنت عما رأيت أمس فى المزرعة ؟.

باتا : لا.

أنبو : عجبا .. أكنتما صامتين طوال الوقت ؟ هل كان بينكما خصام ؟

باتا : ....

أنبو : أصدقنى يا باتا ، هل كان بينكما خصام ؟.

باتا : نعم .

أنبو : فيم اختصمتما ؟.

باتا : هل شكتنى إليك ؟ ماذا قالت لك ؟.

أنبو : **(بلهجة فيها حدة)** أنا الذى سألتك فأجبنى أولا ، ثم اسألنى بعد ذلك إن شئت .

باتا : لقد عتبت عليها أن أغرت سيرونا بالتردد على البلاط .

أنبو : ثم ماذا ؟.

باتا : ثم غضبت منى .

أنبو : بل تكذبنى !.

باتا : كلا يا شقيقى ما كذبتك !.

أنبو : إنك تنافقنى وتتظاهر لى بالصدق والبراءة رياء منك !.

باتا : ليس الرياء من خلقى ولا النفاق !.

أنبو : **(يغضب)** بل راودتها عن نفسها فى غيابى ، وحاولت الاعتداء عليها لما استعصمت منك .

باتا : **(يبكى)** كلا يا أخى ، ما كان منى شىء مما تقول .

أنبو : أتريد أن تخدعني ببكائك المصطنع ؟.

باتا : صدقني يا أخي ، لم أفعل شيئا مما قلت .

أنبو : أأصدقك وأكذب عيني !.

باتا : إنك لم تكن معنا ...

أنبو : وهل كنت تجرؤ على عملك الأثيم لو كنت معكما ؟.

باتا : أتوسل إليك يا أخي أن لا تتعجل بتصديق التهمة التي ألصقت بي ، وأن تتروى في الأمر .

أنبو : لقد تدبرت الأمر جيدا ، ولم أسرع بتصديق نفرورا حين أخبرتني ، ولوددت لو كان ما حدثتنيه إفكا كله ، ولكن قرائن الحال تؤيد صدق كلامها .

باتا : معاذ الرب يا أنبو أن أحدث نفسي بخيانتك في زوجتك وأنتما ربيتماني صغيرا .

أنبو : أتستطيع أن تقول لي لماذا هربت من مصر فيما مضى دون أن تخبرني ؟

باتا : **(بعد تردد)** لأني ضقت ذرعا بالمعيشة في مصر ، وأردت أن أرى بلادا جديدة كما قلت لك من قبل .

أنبو : هذا سبب اختلقته اختلاقا لتخفي عني جرمك ، والحق أنك كنت راودت زوجتي عن نفسها ، وحاولت الاعتداء عليها فهددتك بإخباري بما فعلت ، ففررت من

مصر خوفا منى . لقد كنت حائرا فى تعليل ذلك ، ولكنى الآن فهمت السبب .

باتا : أقسم لك بالرب العظيم أن الحقيقة لغير ما ذكرت أنت وغير ما ذكرت أنا ، بيد أنى لا أستطيع أن أكشفها لك .

أنبو : لا تستطيع أن تكشفها لى ؟ ما هى ؟

باتا : ليس من مصلحتك أن تعلمها .. إنما أكتمها عنك حبا بك .

أنبو : (**يستشيط غضبا**) لقد فهمت ما تريد . تريد أن تلقى التهمة على زوجتى . فما كفاك ما اقترفت من الإثم حتى ترمى به البريئة التى حاولت الاعتداء عليها . ويل لك من سافل دنىء !

باتا : إن كان لا بد من قول الحقيقة فهاكها سافرة ! هى زوجتك نفرورا التى راودتنى اليوم عن نفسى ، كما فعلت فيما مضى ، وما هربت من مصر إلا إبقاء على كرامتك .

أنبو : كذبت ! لو كان ما تقول حقا لأخبرتنى حينذاك .

باتا : لقد علمت أنك لن تصدقنى ، ولو صدقتنى لكان فى ذلك قضاء على سعادتك الزوجية ، فرأيت أن ابتعادى هو الحل الوحيد .

(تدخل نفرورا ثائرة) .

نفرورا : قد علمت أنه سيرميني بالذنب الذى ارتكبه معي ..

أنبو : **(مقاطعا)** ما تقولين ؟ ارتكبه معك !

نفرورا : **(تستدرك)** أعني : حاول ارتكابه معي فكأنما قد ارتكبه ، ولولا هذا الخنجر معي لقد قضى — واسوأتاه — مراده مني !

باتا : يا نفرورا ، أسألك بالرب العظيم أن لا تفترى عليّ ، وخافي عذابه ونقمته .

نفرورا : هلا تخشى أنت نقمته وعذابه إذ تعتدى على شرف أخيك ، ثم تفترى بعد ذلك على زوجته لتدرأ التهمة عن نفسك ؟

باتا : تذكرى أنك أنت التى راودتنى عن نفسى فزجرتك مرة بعد مرة .

نفرورا : كذاب أنت ! أنا أراودك عن نفسك ؟ أنا التى ربيتك صغيرا واعتبرتك ابنى ؟

باتا : وأنا كيف أراودك وأنت أمى ؟

نفرورا : أنا أمك ؟ كذبت ؟ لست أمك ولو كنت أمك ، لما راودتنى .

باتا : وأنا لست ابنك ، ولو كنت ابنك لما ...

نفرورا : صدقت . لو كنت ابنى لما راودتنى ، ولكنك أجنبى عنى لم تنفع فيك تربيتى ولا تربية أخيك .

باتا : لا تقاطعينى ...

نفرورا : من ذا قاطعك ؟ أنت قلت : لو كنت ابنى لما راودتنى .. هذه كلمة حق ندت من لسانك !

باتا : إنى ما قلت هذا .

أنبو : لكنك قلته الآن !

نفرورا : (لزوجها) انظر إلى هذا الكاذب الفاجر ، يقول الكلمة الآن بين يديك ثم يحاول إنكارها !

أنبو : أو قد بلغ بك استمراؤك للكذب أن تلفظه قدامى ؟

باتا : (لا يحير جوابا) ...

نفرورا : ما رأيت فى حياتى أمكر من هذا المخلوق . أراد أن يتخلص من زوجته ليخلو بى فى البيت ، فأشار إليها بالرجوع إلى البلاط عقب عودتها منه .

باتا : يا للفرية ! لا تصدقها يا أخى . إنها هى التى أغرت سيرونا بالذهاب إلى البلاط نكاية بى إذا لم أجبها إلى ما دعتنى إليه ، فأرادت أن يعلق بها فرعون فيفسدها علىّ .

نفرورا : يفسدها عليك ؟ أتخاف أنت على عرضك ؟ لو كنت تؤثر الشرف على الشهوة الأثيمة لصنت عرض أخيك

وعرضك ، ولما تركت امرأتك تعود إلى البلاط فى ساعة القيلولة حين لا يكون هناك أحد من الزوار إلا انصرف !

باتا : لا تصدقها يا أنبو ، إنها كاذبة .

أنبو : جدير بمن لا يصون عرض أخيه أن لا يصون عرضه ! (يلتفت إلى زوجته) ، وأنت لِمَ لَمْ تمنعيها من الذهاب إلى البلاط فى تلك الساعة ، فإنها ما تزال ساذجة لا تعرف ما تأتى وما تدع ؟

نفرورا : لقد حاولت صدها فلم أفلح . أفتريد منى أن أكون أغير عليها من زوجها ؟ وما علمت أنه إنما أراد أن يخلو بى إلا بعد ذلك ، ولو كنت أعلم أن سيطول غيابك فى المزرعة لما بقيت فى المنزل معه .

باتا : لا تصدقها يا أخى . إنها كاذبة .. كاذبة !

نفرورا : (فى استهزاء) وأنت الصادق الصادق !

باتا : لقد نسبت إليك أمرا يحط من قدرك فلم أصدقها ...

نفرورا : (لباتا) ويل لك ، أهذا دأبك دائما أن تنحلنى كل بهتان تفتريه ؟

(لزوجها) أتدرى يا أنبو ماذا قال لى اليوم ليثير غيرتى ويفسد قلبى عليك فأطاوعه فيما أراد منى ؟

أنبو : ماذا قال ؟

باتا : هى التى قالت ... هى التى افترت عليك فلم أصدقها .

نفرورا : قال لى إنك تغازل سيرونا ، وإنك ما بعثته وحده إلى المزرعة أمس إلا لتخلو بها فى البيت حين كنت غائبة فى البلاط ، أتريد فوق هذا نذالة ؟

أنبو : يا لك من نذل !

باتا : بل هى التى قالت هذا عنك .. أحلف لك بالرب العظيم لهى التى قالت هذا ..

أنبو : لا تحلف بالرب العظيم . إن تحلف لى سبعين مرة فلن أصدقك . إن من لا يبالى أن يأتى كل هذا الإثم والبهتان لا يتحرج أن يحلف بأغلظ الأيمان كاذبا .

نفرورا : (**تجهش بالبكاء**) لا لوم عليك يا أنبو .. أنا الملومة دونه إذ كتمت عنك سبب فراره من مصر . لقد خشيت أن أجرح قلبك ، إن أخبرتك بخيانة أخيك الذى كان عزيزا عليك ، فكتمته عنك واحتملت الجرح فى كبدى وحدى . وقد حسبت أنه اندمل على الأيام ، ولكن القدر خاننى فشاء أن ينكأ جرحى ، وأن يسدد إلى قلبك طعنة أخرى .

أنبو : (**يضع يده على يد نفرورا**) هونى عليك يا نفرورا .

نفرورا : إنما أخشى على قلبك أن يتمزق من الألم .

أنبو : لا تخافى علىّ فإنى على الآلام صبور،لئن آلمنى ما حدث لقد سرنى أن قد تبرأت من أخ خائن لا يليق بمثلى . (يلتفت إلى باتا) أسمعت يا باتا ؟ إني برىء منك فلست أخي ولست أخاك .

باتا : (يبكى) أخى .. أخى .. لا تتبرأ منى .

أنبو : لا تقل لى أخى بعد الآن .

باتا : اقتلنى يا أخى ولا تتبرأ منى !

أنبو : لولا خوفى أن تكون هذه الفضيحة فى بيتى حديث المدينة والقرى التى حولها لقتلتك فاذهب عنى .. ارحل عنى إلى لبنان أو إلى أى بلد آخر !

باتا : ستعلم براءتى يوما ما فتندم .

أنبو : اغرب عن عينى .. لا أريد أن أراك بعد اليوم ! ليت اللصوص الذين اختطفوك قتلوك صغيرا ، إذن لأراحونا منك ! يرحم الرب أمى ! لو كانت تعلم حين اختطفوك أى نذل ستكون فى غدك ، لما ظلت تبكى ليلا ونهارا عليك حتى هلكت غما .

باتا : أخى ! أخى !

أنبو : لست أخاك .. لست أخاك !

باتا : (فى رقة وضراعة) دعنى أقبل رأسك يا أنبو ثم أذهب .

أنبو : **(لا يجيب)** .

باتا : أتوسل إليك يا أنبو أن لا تضن عليّ بتقبيل رأسك قبل أن أمضى إلى حيث لا أراك أبدا !

أنبو : **(تبدو عليه الرقة فيمكن باتا من رأسه ليقبله)** .

باتا : **(يقبل رأس أنبو)** شكرا لك يا أخى ـ عفوا ... مـا تريـد أن أدعوك أخى ـ شكرا لك يا أنبو !!

(يتجه نحو الباب لينصرف) وداعا يا أنبو .

أنبو : مكانك يا باتـا .. قـف قليـلا ، نسـيت أن أعطيـك ذهبـا تستعين به فى سبيلك .

باتا : **(يلتفت إلى أنبو)** شكرا لك .. لا حاجة بى إلى ذهب.

أنبو : بل انتظر قليلا حتى آتيك به .

باتا : آآمرى أنت يا أنبو ؟.

أنبو : نعم .

باتا : إذن لا أعصيك .

(يخرج أنبو مفتاحا كبيرا من وسطه وينطلق إلى اليســار حتى يغيب) . (تتلفت نفرورا ثم تدنو من باتا) .

نفرورا : **(بصوت منخفض)** آسفة يا حبيبى لما جرى . أصـغ إلىّ ... فى وسعى أن أصلح ما بينك وبـين أخيـك وأن أعيـد سيرونا إليك . وكل ما عليك أن تحضر إلى هنـا غـدا فـى

ساعة الضحى حيث أنتظرك وحدى ، ولن يعلم يا حبيبى بمجيئك أحد .

باتا : يا للخيانة ، كلا .. لن أحضر .. لن أحضر .

نفرورا : لئن لم تحضر غدا فى ساعة الضحى لأخبرن سيرونا أنك راودتنى عن نفسى ، وأن أخاك قد طردك وتبرأ منك فما عدت جديرا بحبها .. أسمعت ؟

باتا : قولى لها ما شئت .. لن أحضر .

نفرورا : لأفسدنها عليك إلى الأبد !

(تسمع وقع أقدام زوجها فتتنحى عن باتا وتعود إلى موقفها الأول)

أنبو : **(يظهر ويدنو من باتا فيناوله كيسا صغيرا)** خذ هذا ، وليغفر الرب لك .

باتا : **(يأخذ الكيس)** شكرا لك يا أنبو .. ليحمك الرب .

(يخرج باتا) .

أنبو : **(لنفرورا)** لتطب نفسك يا حبيبتى . لن يؤذيك هذا الخائن بعد اليوم .. لن تريه ولن يراك .

نفرورا : **(تبكى منتحبة)** .

أنبو : فيم يا حبيبتى تنتحبين ؟

نفرورا : يا ليتنى ما أخبرتك . كنت سبب التفريق بينك وبين

أخيك .

أنبو : هو الذى جنى على نفسه ، وما أعده الآن أخى .

نفرورا : **(تستمر فى بكائها)** كان فى وسعى أن لا أخبرك ، وأن أصبر على أذاه كما صبرت عليه من قبل ، وأن أتلطف معه أكثر مما فعلت ، لعله يتأثر قلبه ويرجع إلى صوابه ! إذن لكفيتك ألم الحسرة على أخيك .

أنبو : ما بى من حسرة عليه . لقد تخلصت من شروره .

نفرورا : لكنه بعد أخوك .. وإنى ما أزال أحبه !

أنبو : **(يبدو عليه قليل من الغضب)** تحبينه بعد كل ما فعل ؟

نفرورا : نعم أحبه .. أحبه ، لن أنسى قط أنى ربيته !

أنبو : **(يدنو منها مواسيا)** انسيه يا حبيبتى من قلبك . إنه لم يحفظ حق التربية فما يستحق عطفك .

نفرورا : يا حبيبى مهما أساء لى أخوك فلن أنساه !.

أنبو : **(يضمها إليه)** ما أطيب قلبك يا نفرورا .. إنك ملاك كريم .

« ينزل الستار »

المنظر الخامس

فى بلاط فرعون ــ جناح كالشرفة يطل على حديقة القصر ــ مقاعد وكراسى وستائر تتجلى فيها عظمة الفن الفرعونى ــ يظهر فرعون جالسا على كرسى مموه بالذهب وتقف قريبا منه نفرورا . الوقت بعد العشاء (ليلا) . يسود الظلام الجزء الظاهر من الحديقة . وينير الجناح مصابيح متدلية من سقف الشرفة ...

***

نفرورا : أراض أنت الآن عنى يا مولاى ؟

فرعون : كل الرضى يا نفرورا ؟

نفرورا : هل من مقاومة بعد ؟

فرعون : لا لم تبق أية مقاومة .

نفرورا : إذن فقد سلمت قادش !

فرعون : **(يقهقه)** أجل ، سلمت قادش ! ما أحسن تعبيرك هذا !

نفرورا : لعلك لا تنسى الأعرابى الذى أعانك على قومه ، وذلك

على حصون المدينة وأبوابها !

فرعون : (**يقهقه أيضا**) أنت ذلك الأعرابى ، نعم أنت ذلك الأعرابى .

نفرورا : أما لهذا الأعرابى من أجر على صنيعه ؟

فرعون : (**يضحك**) أجره القتل ! لا جزاء للجاسوس إلا القتل !

نفرورا : ذلك جزاؤه من قومه لو علموا بأمره يا مولاى إذ دلك على عوراتهم ، أما جزاؤه منك فالذهب والجوهر والإقطاعات .

فرعون : أبشرى يا نفرورا . سأعطيك الذهب والجوهر . أما الإقطاعات فحسبك ما أقطعت لزوجك غير مرة .

نفرورا : ذاك كان لزوجى وليس لى .

فرعون : وهل أقطعت زوجك إلا من أجل سواد عينيك .

نفرورا : إنه لا يعتقد هذا .

فرعون : دعيه يغط فى نومه .. ألم أقل لك إنه تحت الموت بدرجات ؟ أتريدينه أن يعرف الحقيقة ؟

نفرورا : (**يبدو على وجهها العبوس**) ...

فرعون : لا تعبسى هكذا يا نفرورا .. أشهد أن عبوسك هذا ليخيفنى . تبسمى يا حبيبتى ، سأعطيك كل ما تطلبين .

نفرورا : (**تبتسم**) ألم أقل لك إنك أكرم فرعون جلس على عرش

النيل ؟

فرعون : وماذا أيضا ؟

نفرورا : وأجمل ملك تسلم له حصون الجمال !

فرعون : أتدرين لماذا دعوتكم الليلة ؟

نفرورا : احتفالا بتسليم قادش .

فرعون : أجل ، سنشرب نخب قادش . أين زوجك ؟ ألم تحضريه معك ؟

نفرورا : بلى قد أحضرته معى .

فرعون : فأين هو ؟

نفرورا : هو هناك فى البهو يلعب النرد مع عمك .

فرعون : زوجك وعمى : ليس فى الدنيا أحب إلى هذين من لعب النرد ! أما تحسبين أنبو يغار على زوجة أخيه حين يرانى ألاعبها ؟

نفرورا : ليس الآن . لن يعنيه شأن أخيه بعد إذ تبرأ منه .

فرعون : **(يضحك)** وأنت أترينه يغار عليك إن رآنى أعابثك ؟

نفرورا : **(فى جد)** إنك تعلم يا مولاى أن هذا ما يصلح أن يكون موضعا للمزاح !

فرعون : لا تغضبى يا نفرورا .. لن أفعل .. لن أفعل .

(يصفق بيديه فتحضر إحدى الوصائف)

فرعون : (للوصيفة) انطلقى فادعى لى سيدتك سيرونا ، ومرى لنا بالشراب .

الوصيفة : سمعا يا مولاى (تخرج) .

فرعون : ماذا أبطأ بها عنى ؟

نفرورا : إنها قادش يا مولاى ما تزال تتزين لفاتحها !

فرعون : عجبا لهذه التى نشأت فى الجبل ، ما أسرع ما فاقت نساء القصر فى حب الزينة والتطرية واتباع أساليب التجمل !

نفرورا : لا تعجب يا مولاى فأنا التى روضتها !

فرعون : أنت ساحرة يا نفرورا .

نفرورا : لا أنفث فى عقدة إلا حللتها ! ـ ها قد أقبلت سيرونا .. هذى خلاخيلها ترن .. سأترك لكما هذه الخلوة الممتعة ، وأتقدمكما إلى بهو الضيوف .

فرعون : حسنا .. إذا تكامل الضيوف فمرى بالموسيقى أن تعزف لنحضر .

نفرورا : (منحنية فى أدب) سمعا يا مولاى (تخرج) .

(تقبل سيرونا فى أبهى حللها وزينتها وخلفها الوصائف) .

فرعون : (يقوم لها يستقبلها) أهلا بالجمال ! مرحبا بالشعاع !

(تنصرف الوصائف) .

فرعون : (يعانق سيرونا) مرحبا بقادش !

سيرونا : (تجذب نفسها من ذراعيه) ماذا تقول ؟ تدعونى قادش ؟ تبا لك ! أنت قادش !

فرعون : أغضبت يا حبيبتى منى ؟ لا .. لا تغضبى .. لن أدعوك بهذا الاسم مرة أخرى .

سيرونا : أنا سيرونا ... أنا ملكة مصر !

فرعون : (يعانقها) أجل ... أجل ... أنت سيرونا ... أنت ملكة فؤادى !

سيرونا : (عابسة) لا . ما أريد أن أكون ملكة فؤادك .. أنا ملكة مصر !

(يجلسها إلى جانبه على الكرسى)

سيرونا : سيرونا ملكة مصر .

فرعون : أجل . سيرونا ملكة مصر .

سيرونا : وسيكون ابنها فرعونا بعدك !

فرعون : وسيكون ابنها فرعونا بعدى ، هل رضيت الآن عنى ؟

سيرونا : نعم .

فرعون : قولى لى أتحبيننى يا سيرونا ؟

سيرونا : بل قل لى أولا هل تعجبك زينتى هذه ؟

(تنهض من مجلسها وتقف أمامه تتخطر)

أيعجبك هذا العقد ؟

فرعون : ما أجمله على نحرك !

سيرونا : أتعجبك هذه الأساور ؟

فرعون : يا حسنها على معصميك !

سيرونا : وهذان القرطان أيعجبانك ؟

فرعون : نجمان يترجحان فترجح معهما قلبى !

سيرونا : وهذه الحلة الحمراء ؟

فرعون : ما أجملها عليك كأنها دم المحب يموت شهيد حبك ! **(يقوم إليها)** كل شيء جميل فيك يا سيرونا . **(يعود فيجلسها)** قولى لى الآن أتحبيننى ؟

سيرونا : نعم أحبك .

فرعون : كما تحبين باتا ؟

سيرونا : **(ضاحكة)** باتا ! أكثر مما أحب باتا .

فرعون : **(يقبلها)** مثل ماذا تحبيننى ؟

سيرونا : **(تلمس عقدها)** أحبك مثل هذا العقد !

فرعون : مثل هذا العقد ؟ أما تحبيننى إلا مثل هذا العقد ؟

سيرونا : إذا لم يرضك هذا فسأحبك أقل منه .

فرعون : لا لا .. بل رضيت يا حبيبتى رضيت .

(يدخل الساقى فيدير الشـراب فيأخذ فرعـون كأسـا ، وتأخذ سيرونا كأسا) .

فرعون : (للساقى) حسبنا هذا .

(ينصرف الساقى) .

سيرونا : (**بعد أن شربت كأسها**) ما لك لا تشرب كأسك ؟

فرعون : لتسقينى أنت يا سيرونا .

سيرونا : (**تأخذ كأسه وتدنيها إلى فمه**) اشرب !

فرعون : (**يمتنع**) أريد أن أشرب من كأس باتا !

سيرونا : (**تعود فتدنى الكأس من فمه**) اشرب !

فرعون : (**يمتنع**) لا أشرب إلا من كأس باتا !

سيرونا : (**تميل الكأس**) إذن أريقها على الأرض .

فرعون : لا يا حبيبتى لا تفعلى . أتوسل إليك يا سيرونا يـا ملكـة مصر أن تسقينى من كأس باتا !

سيرونا : (**تأخذ جرعة من الكأس فتسقى فرعون من فمها**) .

فرعون : (**يمتص الخمر من فمها**) ما أحلاك يا كأس باتا ! اسـقينى أيضا .

سيرونا : (**فى صرامة**) حسبك !

فرعون : اسقينى أيضا .. اسقينى يـا ملكـة مصـر .. اسـقينى يـا أم ملك مصر !

سيرونا : (فرحة) أجل أنا أم ملك مصر ، سأسقيك مرة أخرى .

(تأخذ جرعة أخرى فتسقيه من فمها) .

فرعون : ما أحلى ! ما أعذب ! اسقينى أيضا .

سيرونا : كفى !

فرعون : مرة أيضا فحسب !

سيرونا : **(تريق ما فضل فى الكأس على أرض الحديقة)** قلت لك كفى !

فرعون : يا لى منك !

(يسمع عزف الموسيقا فى بهو الضيوف)

سيرونا : **(تنهض واثبة)** الموسيقا تعزف .. هيا بنا إلى البهو .. هيا بنا .

فرعون : هيا بنا يا حبيبتى .

(يأخذ بيدها فيخرجان) .

(يظهر باتا فى الحديقة على مقربة من الشرفة حيث كان متخفيا) .

باتا : يا لها من خائنة ! ملكة مصر ! ابنها سيكون ملك مصر ! تسقى فرعون من كأس باتا ، تسقيه الخمر من شفتيها ، هما كأس باتا عند فرعون ! ويلى ! أفى رؤيا أنا ؟ من ذا يؤولها لى فيطمئننى ؟ لقد كنت أقص رؤياى على أنبو

أخي فيطمئنني . لكن أين أنبو مني ! الآن ؟ لقد طردني وتبرأ مني .. كلا ليست هذه رؤيا .. إنني ليقظان . دعها يا باتا ، إنها قد فجرت فلن تصلح لك ! لكني أحبها . لأنتزعنها من يد فرعون الداعر . لأحملنها إلى الجبل . إليك يا كوخي الجميل على السفح الغربي بين اشجار الأرز ! رباه كيف السبيل إلى ذلك ؟ ليتني كنت وثبت إلى الشرفة حين كانا وحدهما فذبحت الداعر بهذا الخنجر ثم حملتها ونجوت بها . لكن سيسمع الحرس والحاشية فيقبضون عليّ . خير من هذا أن أتفق مع سيرونا على الهرب .. لكنها لن تقبل .. قد فجرت .. قد فجرت !!

(تقبل وصيفة في الشرفة وتسمع همهمة باتا) .

الوصيفة : ويلي .. من ذا يوسوس في الحديقة ؟

باتا : **(يلتصق بجدار الشرفة)** أنا مسكين تعيس أيتها الإنسانة الطيبة .

الوصيفة : **(تدنو من حافة الشرفة تنظر إليه)** أيها السائل المسكين ، كيف جرؤت على الوصول إلى هنا ؟ انسل من هنا وشيكا قبل أن تراك أعين الحراس فيقتلوك .

باتا : أحسني إلي أيتها الشابة الجميلة .

الوصيفة : انتظرني أيها السائل ، سأحضر لك طعاما .

باتا : يحفظ الرب شبابك ! ما أنا بجائع .. خذى هذا الذهب مني .

الوصيفة : (مستغربة) الذهب !

باتا : (يمد يده إليها بكيس الذهب) .

الوصيفة : (تأخذ الكيس وتفرغ شيئا من الذهب في يدها) عجبا .. هذا ذهب حقا !

باتا : خذيه لك مني أيتها الشابة الطيبة .

الوصيفة : أنت أحوج إليه مني ...

باتا : لا يا أختي ، ما بي إليه من حاجة .

الوصيفة : (تتفرس في وجهه) يبدو عليك الحزن يا هذا .

باتا : نعم أنا شقي تعيس . أيسرك أن تسدى إليّ معروفا لا يشق عليك ؟

الوصيفة : أى شيء تريد أن أفعله من أجلك ؟

باتا : أتعرفين سيرونا ؟

الوصيفة : سيدتي سيرونا زوجة مولاى الجديدة ؟

باتا : نعم .. ملكة مصر .. التي سيكون ابنها ملك مصر .. أتعرفينها ؟

الوصيفة : كيف لا أعرفها ؟ أنا إحدى وصائفها .

باتا : اقتربى منها فأسرى إليها كلمة واحدة .. لا تدعى أحدا

غيرها يسمعك . أفهمت ؟

الوصيفة : نعم فهمت .. ماذا أقول لها ؟

باتا : قولى لها إن شيخا كبيرا يريد أن يراها هنا وحدها ليسلم إليها القمرية التى كانت لها فى جبل لبنان . أفهمت ؟

الوصيفة : نعم فهمت .

باتا : ماذا أنت قائلة لها ؟ أعيدى على القول

الوصيفة : سأقول : مولاتى ، شيخ كبير يريد أن يراك وحدك فى الشرفة ليسلم إليك القمرية التى كانت لك فى ...

باتا : جبل لبنان .

الوصيفة : فى جبل لبنان .

باتا : أحسنت ، اذهبى الآن ، بورك فيك !

الوصيفة : **(تنطلق)** سمعا يا مولاى !

باتا : **(وحده)** عجبا .. دعتنى مولاها سهوا : تحسبنى فرعون لأنى أعطيتها الذهب ! وصيفة سيرونا تحب الذهب مثل سيدتها ! كلا ، إنها فتاة طيبة ، إنها أشرف من سيرونا . يحميك الرب يا أنبو ، لقد نفعنى ذهبك ! أترى سيرونا تجىء لترى قمريتها ! **(تدخل سيرونا والوصيفة)** .

سيرونا : أين هو يا إيفا ؟

الوصيفة : **(تتقدم إلى حيث باتا)** هنا يا مولاتى .

(تنصرف) .

باتا : (يعتلى حاجز الشرفة ويقف عليه خارجها) سيرونا!!

سيرونا : (مرتاعة) باتا ! ماذا جاء بك هنا ؟

باتا : كلمة واحدة تسمعينها منى وأمضى لسبيلى .

سيرونا : انج حالا بنفسك قبل أن تقتل !

باتا : (يثب إلى داخل الشرفة ويقف على بعد قليل من سيرونا) ما أخاف القتل يا سيرونا فإنى خالد بحبك .

سيرونا : لا تذكر لى حبك بعد ، فقد نسيته !

باتا : تذكرى يا سيرونا أنك وقعت فى الشر الذى كنت أخافه عليك ، وقد جئت الآن لأنقذك منه .

سيرونا : لكنى أحب هذا الشر الذى تذكره وأستطيبه ، وما أريد أن تنقذنى منه .

باتا : اذكرى يا سيرونا أننا كنا سعيدين فى كوخنا الجميل بجبل لبنان .

سيرونا : أصبحت الآن أسعد إذ صرت ملكة مصر !

باتا : لكنى أصبحت شقيا يا سيرونا ببعدك .

سيرونا : لا شأن لى بشقائك ، أنت الذى جنيته على نفسك إذ غازلت زوجة أخيك فطردك من البيت وتبرأ منك !

باتا : لا تصدقى أكاذيب نفرورا . إنها هى التى أرادت منى

السوء ، فلما امتنعت افترت عند زوجها عليّ .

سيرونا : ذنبك أنت ! لِمَ لَمْ تطاوعها ؟ إذن لبقى أخوك راضيا عنك .

باتا : سيرونا ! ما تقولين ؟ أخون أخى فى زوجته ؟

سيرونا : ما شأنك أنت ؟ هى التى خانت أخاك فى نفسها .

باتا : سيرونا !!

سيرونا : آه .. ليتك فعلت إذن لربما ألهيتها بك عن مغازلة حبيبى فرعون ! ويل لها تغازله فى السر كأنى لا أعلم ، وكأنها تستطيع أن تكون مثلى ملكة مصر ! تبا لكم جميعا أنت وأخوك وامرأة أخيك !

باتا : رباه ! ما هذا الذى أسمع وأرى ؟ قولى يا هذه أأنت سيرونا ؟

سيرونا : **(فى سخرية)** قل لى يا هذا أأنت باتا ؟

باتا : مسكينة أنت ! أهكذا استطاعوا أن يفسدوك ؟ لا .. لا أتركك هنا .. لأصلحنك .. لأعيدنك إلى الطهارة والخير .. لأحملنك إلى الجبل .

سيرونا : إلى الجبل ؟ تبا لك وللجبل ! أتريد أن تحملنى إليه بالرغم منى ؟

باتا : **(يبدو عليه الجد)** نعم .

سيرونا : أين تظن نفسك يا مجنون ؟ أتظن نفسك فى الجبل ؟ إن صيحة منى تجمع رجال القصر عليك فيقتلونك .

باتا : (**يخرج خنجره**) لئن صحت لأكتمن صوتك بهذا .

سيرونا : (**يلتمع فى عينيها الخوف**) ما هذا ؟

باتا : هذا الخنجر الذى كنت أذبح به الصيد فى جبل لبنان !

سيرونا : (**تكتم خوفها وتتظاهر بالسذاجة والاستغراب**) نفس الخنجر الذى كنت تذبح به الصيد فى جبل لبنان ؟

باتا : نعم .

سيرونا : ما تزال محتفظا به ؟

باتا : نعم يا سيرونا ؟

سيرونا : تريد أن ترجع به معنا إلى كوخنا الجميل ؟

باتا : (**فى فرح**) نعم يا حبيبتى .. نعم .

سيرونا أموقن أنت يا حبيبى أنه نفس خنجرنا القديم وما معك خنجر غيره ؟

باتا : نعم هو هو يا سيرونا ما عندى خنجر غيره .

سيرونا : أرنى يا حبيبى أنظر إليه .

باتا : (**يعطيها الخنجر**) .

سيرونا : (**تتقهقر عنه شارعة فى يدها الخنجر**) انج الآن بنفسك وإلا دعوت لك الناس فاجتمعوا عليك .

باتا : (يقترب نحوها) سيرونا ، لنفرورا أهون شرا منك !

سيرونا : إن دنوت مني أغمدت هذا في صدرك .

باتا : (يهجم عليها) قد أغمدته الآن في صدرى ، فأغمديه إن شئت مرة أخرى .

سيرونا : (تصيح صيحة منكرة وتطعنه فيغوص الخنجر في صدره) .

باتا : يترنح وينزع الخنجر من صدره وهو يقطر الدم)

خنجرنا القديم ! أراك تحبنى بعد وتحفظ عهدى ..

(يدنو من حافة الشرفة وهو يترنح فيرمى الخنجر خارجها) .

إن كنت تحبنى فازرع دمى فى هذه الحديقة لعلى أن أرى يوما سيرونا !

تنظر إليه سيرونا ذاهلة) .

باتا : (يخر على الأرض صريعا ـ بصوت كالحشرجة) ....

لكن باتا لن يطير منك .. ولو طرت منه .. لطار خلفك .. واقتفاك .. أينما تكونين !! (يموت) .

سيرونا : (تنفجر صائحة) قتلت باتا !.. قتلت باتا !

(يقبل أنبو وفرعون والحاشية والحرس منطلقين) .

سيرونا : (تصيح فى ذهول) قتلت باتا ! قتلت باتا !!

أنبو : **(ينظر إلى الجثة مشدوها)** باتا !!

فرعون : ما الذى جاء به هنا ؟ **(لأنبو)** ألم تقل لى إنه قد رحل ؟

أنبو : بلى يا مولاى ... إنه ... قد ... رحل !

سيرونا : **(مستمرة فى صياحها)** قتلت باتا ! قتلت باتا !

نفرورا : **(تنجم من بين صفوف الواقفين)** بل أنا التى قتلته ! **(تنطرح على جثة القتيل وتوسع وجهه تقبيلا)** يا باتا يا حبيبى ، أحبك أحبك .. ما أحب أحدا غيرك ! ها أنت ذا الآن تدعنى أقبل عينيك وألثم شفتيك .. وأضمك إلى صدرى ولا تمنعنى ! لا تمت يا باتا .. عش من أجلى . سأقول لأخيك كل شىء .. سأعترف له بأنى أنا المذنبة ، وأنك أنت الطاهر البرىء .. أين أنبو ؟

(تنهض عن الجثة وتقف أمام زوجها) .

أنبو ! ها أنت ذا هنا ، أسامع أنت ؟

أنبو : نفرورا . أمجنونة أنت ؟

نفرورا : كلا ، لست مجنونة . باتا برىء .. أخوك باتا برىء . أنا راودته عن نفسه فاستعصم ، أنا افتريت عليه عندك . أنا قدت سيرونا إلى هنا نكاية به إذ لم يطعنى .. أنا التى قتلته ، وا لوعتاه عليك يا باتا ! **(تعود فترتمى على القتيل تضمه وتقبله)** باتا ! أحبك يا باتا !

أنبو : ويل لك يا فاجرة !

(ينتشلها من جثة أخيه ويلقيها بعيدا عنه) لا تدنسي جسد أخي !

نفرورا : (تصيح) دعني ! دعني ! هو حبيبي ! هو حبيبي !

أنبو : (يستل خنجره فيطعن به نفرورا ويرديها) فاجرة ! (يدنو من جسد باتا ويرتمي عليه) أخي .. أخي !

(يفسح الطريق لفرعون وهو يجذب سيرونا ليبتعد بها ، وهي تنظر نحو القتيل تائهة ذاهلة) .

« ستـــار »

المنظر السادس

« نفس المنظر السابق ولكن ترى فى الحديقة شجرة دقيقة الساق بأعلاها زهرة حمراء .

يظهر فرعون مطلا من حافة الشرفة على الحديقة ، وهو يحادث البستانى الواقف فى الحديقة أمام الشجرة ، بينما ترى فى الطرف الأقصى من داخل الشرفة سيرونا مرتاعة واجمة وبجانبها وصيفتها إيفا كأنما تواسيها وتطمئنها ـ الوقت : صباح » .

***

فرعون : (يبدو على وجهه الاهتمام) كيف نبتت هذه الشجرة هنا ؟

البستانى : لا أدرى يا مولاى كيف نبتت ، ما رأيتها إلا هذا الصباح . وقد رأيت بجنبها شيئا كالخنجر غائصا نصله فى الأرض ، فلما أردت انتزاعه اختفى من يدى كأنما سحره ساحر !

فرعون : إنما ذلك وهم خيل إليك .

البستانى : لا ـ وأنت الصادق يا مولاى ـ لم يكن وهما ، لقد رأيته

بعينى ولمسته بيدى .

فرعون : أو قد حدثت بهذا مولاتك سيرونا ؟

البستانى : لا يا مولاى .

فرعون : إذن فما الذى جعلها تخاف من هذه الشجرة وتتوهم أوهاما غريبة ؟

البستانى : لا أدرى يا مولاى .

فرعون : انظر إلى الزهرة جيدا . أترى فيها ما يشبه عين إنسان ؟

البستانى : **(يحدق فى الزهرة)** عين إنسان ؟ لا يا مولاى ما أرى فيها شيئا .

فرعون : ولا أنا – ادن منها وأنصت إليها أتسمع منها صوتا ؟

البستانى : **(يدنو منها بسمعه)** لا يا مولاى ، ما أسمع منها صوتا .

فرعون : ولا أنا . **(ينظر إلى البستانى)** ما رأيك فى قطع هذه الشجرة ؟

البستانى : إنها شجرة جميلة يا مولاى لا نظير لها فى مصر . وكنت أريد أن أستنبت فروعا منها فتزدان بها حديقتك ، وإن فى قطعها خسارة كبيرة والأمر بعد لمولاى .

فرعون : **(يذهب نحو سيرونا)** .

سيرونا : **(فى لهفة)** قد قطعت ؟

فرعون : لا يا حبيبى ، إنها شجرة جميلة لا نظير لها فى مصر ،

ومن الخسارة قطعها .

سيرونا : لن أقيم فى هذا القصر إلا إذا قطعتم هذه الشجرة !

فرعون : لم أجد فيها شيئا مما صوره لك الوهم .

سيرونا : (فى صبر نافد) الوهم ! ما عندك غير هذه الكلمة ترددها لى . لقد رأيت فى الزهرة عين باتا ترنو إلىّ ، وسمعت منها صوت باتا .. صوت باتا نفسه ينادينى !

فرعون : إن باتا قد مات . وإن جثته قد حملها أنبو ودفنها ، فكيف ترين عينه أو تسمعين صوته ؟

سيرونا : لا تطل معى الحديث . لئن لم تقطع هذه الشجرة وتمزق هذه الزهرة لأهربن من عندك .

فرعون : إنما خوفك هو الذى أراك ما لا وجود له ، هلمى معى الآن إليها فلن ترى فى الزهرة عينا ، ولن تسمعى منها صوتا ، وإلا أمرت البستانى فقطعها أمامك .

(يمشى فرعون نحو الشجرة تتبعه سيرونا فى خوف ووراءها إيفا تسندها حتى يطل الثلاثة على موضع الشجرة) .

فرعون : **(يقف خلف سيرونا يحتضنها ويسندها)** انظرى يا حبيبتى الآن .. لا عين ولا صوت . **(يلتفت إلى إيفا)** أترين عينا يا إيفا أو تسمعين صوتا ؟

إيفا : لا يا مولاى .

سيرونا : ها هى ذى عين باتا ترنو إلىّ ! وها هو ذا صوته !

فرعون : (**لا يدعها تهرب**) صوته ؟ أين صوته ؟ لا نسمع شيئا .

سيرونا : أصم عمى أنتم ؟ أما تسمعونه ينادينى : سيرونا لا مفر لك منى ؟

فرعون : لكنا لم نسمع شيئا .

سيرونا : (**تصيح بشدة**) اقطعوا الشجرة أقول لكم !

فرعون : ليكن ما تريدين ـ اقطعها يا بستانى .

البستانى : أمرك يا مولاى (**يهوى بفأسه على الشجرة فيقتلعها**) .

سيرونا : والزهرة .. مزقها .. مزقها !

(**يلتقط البستانى الزهرة وينظر إليها فى يده**) .

فرعون : يا لها من زهرة جميلة .. مزقها يا بستانى .

البستانى : هذه فراشة خضراء فى داخلها .

سيرونا : اقتلها ! اقتلها !

البستانى : وى ! إنها طارت !

سيرونا : (**تصيح صيحة منكرة**) أوه ! دخلت فىّ ! أدركونى .. أدركونى .. !

فرعون : (**يسندها**) أنا لم أر شيئا .. أرأيتها أنت يا إيفا ؟

إيفا : (**مرتاعة**) نعم يا مولاى ، رأيتها دخلت فى فم مولاتى .

سيرونا : (يغشى عليها) أوه !

فرعون : (وهو يسندها أن تقع على الأرض) إيفا . هلمى حالا بالطبيب الكاهن .

إيفا : (تنطلق) حالا يا مولاى .

(تقبل وصائف القصر فيتسلمن سيرونا من فرعون) .

فرعون : إنها مغشى عليها .. احملنها وأضجعنها على سريرها .

(يدخل الكاهن سيدو) .

فرعون : هلم يا سيدو !

الكاهن : مولاى ، ما الذى حدث ؟

فرعون : مولاتك سيرونا زعمت أن فراشة طارت من هذه الشجرة اللعينة فدخلت فى فمها ، وهى الآن مغشى عليها .

الكاهن : هذه الشجرة الغريبة التى سمعت عنها ؟

فرعون : نعم .

الكاهن : وطارت منها فراشة إلى فمها ؟

فرعون : هكذا زعمت ، وما أحسب هذا إلا وهما خيل إليها ، فقد توهمت أنها رأت عينا فى الزهرة وأنها سمعت منها كلاما .

الكاهن : سأرى ما بها يا مولاى .

فرعون : اذهب لعلك تستطيع أن تزيل ما بقلبها من الخوف

والوهم . (يخرج الكاهن) .

فرعون : (وحده يخطر جيئة وذهابا) عجبا ! ما لهؤلاء أصبحوا جميعا مسحورين ؟ خنجر اختفى من يد البستانى ! وفراشة دخلت فى فمها يقول البستانى إنه رآها ، وتقول إيفا أيضا إنها رأتها ! وأنا لم أر شيئا مما قالوا : أترى الخوف دب إليهما كما دب إليها فتوهما أنهما رأيا ما لا وجود له ؟ أخشى لعمرى أن يدب إلى الخوف فأتوهم مثلهم !

الكاهن : (يعود مسرعا) مولاى ! مولاى !

فرعون : أرأيتها ؟ ماذا بها ؟

الكاهن : إنها حبلى متم !

فرعون : ما تقول ؟ حبلى متم ؟

الكاهن : نعم يا مولاى ، وما أحسب إلا أنها على وشك أن تضع . وقد أمرت لها بالقابلة أن تحضر .

فرعون : إنى أكاد أجن ! كيف تقول إنها حبلى متم و لم تكن كذلك آنفا ؟ أمسحور أنت أيضا مثلهم ؟

الكاهن : كلا يا مولاى ، ما أنا بمسحور . فى وسعك أن تراها بنفسك . (يخرج فرعون منطلقا) .

الكاهن : (وحده) يا للويل ! أخشى أن يكون جنينها هذا هو

الفرعون الموعود الذى أنذرنا به الكاهن عامور . لا ..
لا أخبر مولاى فرعون .. ليقتلنى إن أخبرته .

فرعون : **(يدخل)** ما رأيت كاليوم عجبا ، هى فى الطلق الآن ! **(يجلس على المقعد)** قل لى يا سيدو ما هذا الحادث الغريب ؟ أما عندك به أثارة من علم ؟

(يدخل الكاهن عامور فجأة وهو شيخ هرم يحمل عكازا فى يده ، وخلفه حرس فرعون) .

فرعون : عامور ! مرحبا بك يا عامور ، لقد جئتنى حين الحاجة إليك ، لعلك تعلم لى علم هذا الحادث الغريب .

عامور : لا تنس يا مولاى أنك أقصيتنى وحرمت علىّ أن أزورك ، لأنى نصحتك بالكف عن ظلمك وفجورك . فما جئت اليوم لزيارتك .

فرعون : **(مغضبا)** فيم جئت إذن ؟

عامور : جئت لأستقبل الفرعون الموعود ، إنه اليوم يولد فى قصرك .

فرعون : أتخوفنى بأساطيرك يا كاهن السوء ؟ وحق آبائى لأقتلنك شر قتلة !

عامور : **(يجلس على مقعد)** ما أبالى أن تقتلنى وقد كبرت وسئمت تكاليف الحياة ، وحسبى أنى لم أمت حتى

شهدت اليوم الذى يتم فيه خلاص الشعب من ظلمك وآثامك ! (تدخل القابلة فرحة) .

القابلة : مولاى ، أبشرك بغلام جميل !

عامور : هو الفرعون الموعود .. حمدا لك يا رب !

سيدو : لا تخف يا مولاى . تأمر بقتله فتتخلص منه .

عامور : أجل ، دع هذا الذى وليته مكانى ينفعك اليوم بمداهنته لك !

فرعون : (للقابلة) اذهبى ، فائتينى بالغلام .

القابلة : (تخرج) سمعا يا مولاى .

عامور : الفرعون الموعود لا يقتل !

فرعون : (مغضبا) ويل لك ! سأريك الآن كيف أقتله وأقتلك بعده !

عامور : الفرعون الموعود لا يقتل !

(تعود القابلة) .

فرعون : أين الغلام ؟

القابلة : مولاى ، إن أمه متعلقة به لا تريد أن تدعه لأحد كأنما تخشى أن يختطف منها .

فرعون : اذهبى فانتزعيه منها !

القابلة : (مستغربة) أنتزعه منها ؟

فرعون : نعم انتزعيه منها بالقوة .

القابلة : (في تردد) لم يا مولاى ؟ إنها قد تصاب بسوء من جراء هذا .

فرعون : (في غضب) لا تسأليني لمه .. اذهبى فافعلى ما أمرتك .
(لأحد الحراس) واذهب أنت معها فساعدها على انتزاع الغلام من أمه .
(تخرج القابلة يتبعها الحرسى) .

عامور : لعل هذا آخر ظلم ترتكبه : أن تنتزع هذا الغلام من ترائب أمه .

فرعون : كلا ، بل أقتله أيضا وأقتلك !

عاموز : الفرعون الموعود لا يقتل !
(تعود القابلة ومعها الحرسى) .

القابلة : مولاى ! أدركنى يا مولاى ، إنى أكاد أجن !

فرعون : أين الغلام ؟

القابلة : قد انتزعته من يدى أمه فـ ... فـ ...

فرعون : فأين هو ؟

القابلة : اختفى من يدى فى طريقى إليك !

فرعون : (فى حدة) بل هربته يا ملعونة !

الحرسى : كلا يا مولاى ، بل اختفى من يدها ، أنا شهدته بعينى !

سيرونا : (يسمع صوتها وهى مقبلة) ولدى ولدى !

(تدخل محلولة الشعر وهى تصيح) ولدى ! أين ولـدى ؟

أين ذهبتم بولدى ؟

(ينهض فرعون مرتاعا ، وتدخـل الوصـائف وعـدد من الحرس ورجال القصر) .

سيرونا : (تقبل على فرعون) أين أخفيت ولدى ؟ أعطنى ولدى !

فرعون : سيرونا يا حبيبتى ، إنى لم أر ولدك .

سيرونا : بل تريد أن تقتله لئلا يكون ملكا بعدك ! أعطنى ولدى ، أين ولدى ؟

(تتردد فى أنحاء الشرفة كأنها تبحث عنه ثـم تقع علـى الأرض من الإعياء) .

فرعون : (للوصائف) احملنها إلى غرفتها

(تحملها الوصائف ويخرجن بها) .

عامور : قلت لكم إن الفرعون الموعود لا يقتل .

فرعون : (لرجاله) اقتلوا هذا الكاهن اللعين !

عامور : (يقـوم مـن مقعـده) حـذار يـا أبنـائى ، لا ينتقـم منكـم الفرعون الموعود . فكأنى به الآن بينكم فى هذا المكان !

(يتوقف الرجال عن قتل الكاهن عامور) .

فرعون : اقتلوه ! اقتلوه يا جبناء !

(يقترب بعض رجال القصر من الكاهن عامور ليقتلوه) .

عامور : **(صائحا بأعلى صوته)** ها هو ذا مولاكم قد ظهر ! لا يمدن أحد منكم يده إليه بسوء !

(يظهر باتا وبيده خنجره القديم ، ويتقهقر الرجال ينظرون إليه ذاهلين) .

فرعون : **(ينظر إليه مرعوبا)** من أنت ويلك ؟

باتا : **(فى صوت هادئ)** أنا الغلام الذى تبحث عنه لتقتله ! أنا باتا الذى اغتصبت منه زوجته ! أنا قاتلك ولا قاتل لك غيرى !

فرعون : **(يتقهقر عنه) .**

باتا : سأريح الشعب من ظلمك وفجورك ! سأريحك من نفسك الفاجرة !

فرعون : **(صائحا)** ويلكم اقتلوه ! اطعنوه من خلفه !

عامور : الفرعون الموعود لا يقتل !

باتا : **(يتقدم نحو فرعون شارعا خنجره ويطعنه)** لن يحميك منى أحد .

فرعون : **(يصيح صيحة منكرة ويخر صريعا)** ويلكم اقتلوه !

(يتقدم رجال فرعون ليقتلوا باتا بينما انسل الكاهن سيدو ويثب خارج الشرفة) .

عامور : **(صائحا)** الفرعون الموعود لا يقتل ! حذار أن تمتد إليه يد بسوء !

(ينزع التاج من رأس فرعون ويضعه على رأس باتا)

البس تاج النيل يا باتا ، وكن فرعونا صالحا ، وليبارك الرب عليك !

(يركع له) يعيش ملك مصر !

الجميع : **(يقفون ذاهلين وما يلبثون أن يركعوا له)** يعيش ملك مصر !

باتا : ارفعوا رءوسكم ، بارك الرب عليكم !

(يرفع الجميع رءوسهم وينهضون) .

باتا : **(لعامور)** قد وليتك يا عامور رئاسة الكهنة وجعلتك وزيرى وطبيبى الخاص .

عامور : شكرا لك يا مولاى ، ولك علىّ أن أمحضك النصح ، وأخلص فى خدمتك وفى خدمة شعبك .

باتا : وجعلت أخى أنبو ولى عهدى .

عامور : يعيش الأمير أنبو ولى العهد !

الجميع : يعيش الأمير أنبو ولى العهد !

باتا : إن لى عليكم الطاعة والإخلاص ، ولكم على ألا أدع ظالما إلا عاقبته ، ولا مظلوما إلا أنصفته ، ولا حقا

مغصوبا إلا رددته إلى صاحبه . (يتنهد) ولا خائنة زوجها إلا نكلت بها تنكيلا ! ها أنا ذا قد قتلت هذا الفرعون الفاجر ، فائتونى الآن بالفاجرة !

(يصمت الجميع لا يدرون من يعنى)

باتا : ائتونى بالفاجرة !

عامور : إنهم لا يدرون من يعنى مولاى .

باتا : وهل فى القصر فاجرة غير سيرونا ؟ ائتونى بسيرونا !

(ينطلق بعض الحرس) .

باتا : **(لعامور)** قل لى يا عامور ما جزاء امرأة خانت زوجها ؟

عامور : جزاؤها الرجم يا مولاى .

باتا : وما جزاء امرأة قتلت زوجها ؟

عامور : جزاؤها يا مولاى القتل !

(يدخل الحرس بسيرونا وهى لا تعى شيئا) .

باتا : ها هى ذى امرأة خانت زوجها وقتلت زوجها !

سيرونا : **(تصيح)** ولدى ! أين ولدى ؟

(تنظر فى الناس) هل وجدتم ولدى ؟

(تتقدم نحو باتا) حبيبى ، مولاى ، أين ولدى ؟ رد لى ولدى . أتوسل إليك إلا ما أعدت إلى ولدى .. أقبل قدميك .

(تنحنى لتقبل قدميه) .

باتا : **(ينهرها)** ابتعدى عنى أيتها الفاجرة !

سيرونا : **(تتراجع)** حبيبى ، لماذا تنهرنى ؟ ألست تحبنى ؟

باتا : كلا بل أكرهك وأمقتك ، وسأقتلك الآن !

سيرونا : تمقتنى وتريد أن تقتلنى ، ماذا جنيت فى حقك ؟

باتا : أنسيت يا فاجرة أنك خنت زوجك وقتلته ؟

سيرونا : فى سبيلك يا مولاى ... أتقتلنى لأنى خنت زوجى وقتلته من أجلك ؟

باتا : **(لنفسه)** ويل لها ، تحسبنى فرعونها الداعر . **(لسيرونا)** أما تعرفين من أنا يا فاجرة ؟

سيرونا : **(فى ضراعة)** كيف لا أعرفك ؟ أنت مولاى فرعون الذى كنت تحبنى .

باتا : خاب ظنك ! هو ذاك فرعونك الفاجر قد قتلته ... انظرى إليه .

سيرونا : **(تدنو من جثة فرعون الملقاة فى أحد أركان الشرفة ، وتنظر فى وجهه ثم تتراجع مذعورة وتعود إلى موقفها الأول)** قتلته ؟

باتا : نعم قتلته ، أفما تعرفيننى الآن ؟

سيرونا : **(تتفرس فيه مذهولة اللب)** ...

باتا : (يضع التاج عن رأسه) أما تعرفين من أنا ؟

سيرونا : (تصيح مذعورة) باتا !!

باتا : أجل . أنا باتا زوجك الذى خنته وقتلته !

سيرونا : (تتقهقر مرتاعة) باتا !!

باتا : (يسل خنجره ويتقدم نحوها) وهذا خنجرنا القديم الذى أغمدته فى صدرى ، سأغمده الآن فى صدرك .

سيرونا : (تصيح) لا لا تقتلنى حتى أرى ولدى ! دعنى أرى ولدى ! دعنى أرى ولدى أولا ثم اقتلنى !

باتا : ويل لك أما تبصرينني ؟ أنا ولدك الذى ضاع منك ! أنا ولدك الذى تبحثين عنه !

سيرونا : (تنظر إليه زائغة البصر مليا ، ثم يلتمع فى عينيها السرور كأنها تجد شيئا فقدته) يا بشرى .. هذا ولدى ! (تطفأ الأنوار فجأة وتسمع موسيقى صاخبة رهيبة فى نغمات سريعة متتابعة تعبر عن انطواء الزمن) .

(تضاء الأنوار رويدا رويدا ، فتبدو سيرونا وقد ابيض شعرها ، وتغضن وجهها ، وظهرت عليها علامات الكبر) .

سيرونا : شكرا لك يا رب إذ رأيت ولدى قبل أن أموت !

باتا : (يسقط الخنجر من يده) .

سيرونا : (تتقدم نحوه) دعنى أعانقك يا ولدى ! هلم إلى صدر أمك !

باتا : (يتقهقر عنها شارك اللب) ...

سيرونا : لماذا تتباعد عني يا بنى ؟ أنا أمك .. أنا أمك العجوز . ويل للصوص القساة . اختطفوك منى صغيرا وعدت إلىّ رجلا كبيرا حتى كدت لا أعرفك ! (تتقدم نحوه مادة ذراعيها إليه فى حنان فائض) أنا أمك يا باتا ، أما عدت تعرفنى ؟ أنسيت أمك يا باتا ؟ أنا أمك ..

باتا : (يلتمع فى عينيه السرور) أمى !! (يندفع إليها ويعانقها) أمى .. أمى !

سيرونا : (تضمه إلى صدرها وتوسعه تقبيلا) ولدى ! ... ولدى !

الجميع : (ينظرون ذاهلين) .

« ستـــــار الختــــام »

مؤلفات الأستاذ على أحمد باكثير

- إخناتون ونفرتيتى
- سلامة القس
- وا إسلاماه
- قصر الهودج (قصة شعرية)
- الفرعون الموعود
- شيلوك الجديد
- عودة الفردوس
- روميو وجولييت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
- سر الحاكم بأمر الله
- ليلة النهر
- السلسلة والغفران
- الثائر الأحمر
- الدكتور حازم
- أبو دلامة (مضحك الخليفة)
- مسمار جحا
- مأساة أوديب
- سر شهر زاد
- سيرة شجاع
- شعب الله المختار
- إمبراطورية فى المزاد
- الدنيا فوضى
- إبراهيم باشا
- الشيماء
- فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية
- أوزوريس
- نظام البردة ـ ذكرى محمد ﷺ
- من فوق سبع سموات
- التوراة الضائعة
- إله إسرائيل
- دار ابن لقمان

ـ قطط وفيران
ـ هاروت وماروت
ـ جلفدان هانم
ـ الفلاح الفصيح
ـ حبل الغسيل
ـ هكذا لقى الله عمر (بن عبد العزيز
ـ مسرح السياسة
ـ الدودة والثعبان
ـ مأساة زينب
ـ أحلام نابليون
ـ قضية أهل الربع
ـ الوطن الأكبر
ـ حرب البسوس
ـ الفارس الجميل
ـ همام فى بلاد الأحقاف

ـ الملحمة الإسلامية الكبرى (عمر) ، أقوى وأمتع ما كتب باكثير ، وتقع فى ١٨ جزءا كالتالى :

(١) على أسوار دمشق .
(٢) معركة الجسر .
(٣) كسرى وقيصر .
(٤) أبطال اليرموك .
(٥) تراب من أرض فارس .
(٦) رســـتم .
(٧) أبطال القادسية .
(٨) مقاليد بيت المقدس
(٩) صلاة فى الإيوان .
(١٠) مكيدة من هرقل .
(١١) عمر وخالد .
(١٢) سر المقوقس .
(١٣) عام الرمادة .
(١٤) حديث الهرمزان .
(١٥) شطا وأرمانوسة .
(١٦) الولاة والرعية ـ فتح الفتوح .
(١٧) القوى الأمين .
(١٨) غروب الشمس .

رقم الإيداع ٢٧٦٢
الترقيم الدولى ٨ ـ ١٣٥ ـ ٣١٦ ـ ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

الثمن ٢٧٥ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه